

بسم الله الرحمن الرحيم  
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

## كتاب الجامع الأول

من سماع [ابن القاسم]<sup>(١)</sup> من كتاب أوله مساجد القبائل<sup>(٢)</sup>  
 قال مالك : رأيت ربيعة<sup>(٣)</sup> يلبس القلنسوة<sup>(٤)</sup> ويطانتها وظهارتها خز  
 وكان إماماً . .

قال محمد بن رشد : الخز هو ما كان سداه حريراً فالحم بالوبر .  
 وقد اختلف فيه وفيما كان في معناه من الثياب المشوية بالكتان والقطن<sup>(٥)</sup>  
 كالمحمرات التي سداها حرير وطعمتها قطن وكتان على أربعة أقوال :  
 أحدها أن لباسها جائز من قبل المباح ، من لبسها لم يَأثم بلبسها ، ومن  
 تركها لم يوجر بتركها ، وهو مذهب ابن عباس وجماعة من السلف ، منهم  
 ابن ربيعة على قوله في هذه الرواية ، لأن لباس القلنسوة لباسهم ، لأنهم  
 تأولوا أن النهي والتحريم في لباس الحرير للرجال إنما ورد في الثوب  
 المصمت الخالص من الحرير . والثاني أن لباسها غير جائز ، وإن لم يطلق  
 عليه أنه حرام ، فمن لبسها أثم ، ومن تركها نجا ، إذ قد قيل في حلة

(١) كذا في ق . ١ . وق . ٣ . وسقط من الأصل : ابن القاسم .

(٢) في ق . ١ . ذكر عقب قوله : القبائل : « مسألة في لباس الخز » . قال مالك :

(٣) في . ق . ٣ . رأيت شعبة بدل ربيعة .

(٤) ذكر في . ق . ١ : القلنسوة عقب قوله هنا : يلبس وسقطت من المخطوطات الأخرى .

(٥) في . ق . ١ . وق . ٣ . بالقطن والكتان .

عُطَّارِدُ<sup>(٦)</sup> السَّيْرَاءُ<sup>(٧)</sup> ، التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 «إِنَّمَا هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٨)</sup>» إنها كانت يخالطها الحرير  
 كانت مضلعة بالقز<sup>(٩)</sup> وهو مذهب عبد الله بن عمر ، والظاهر من قول  
 مالك ، وان كان قد أطلق القول فيه أنه مكروه ، والمكروه ما كان في تركه  
 ثواب ، وليس في فعله عقاب . إذ قد يطلق فيما هو عنده غير جائز ، تحرزاً  
 من أن يحرم ما ليس بحرام ، والذي يدل على ذلك من مذهبه قوله في  
 المدونة : وأرجو أن يكون الخز في الصبيان خفيفاً والثالث إن لباسه مكروه  
 على حد المكروه ، من لبسه لم يَأْتُم بلبسه ، ومن تركه لم يؤجر على تركه<sup>(١٠)</sup>  
 وهذا هو أظهر الأقوال وأولها بالصواب ، لأن ما اختلف أهل العلم فيه  
 لتكافؤ الأدلة في تحليله وتحريمه ، فهو من المشبهات التي قال فيها رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم : إنه « مَنْ اتَّقَاهَا فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ »<sup>(١١)</sup>  
 وعلى هذا القول يأتي ما حكاه مطرف من أنه رأى على مالك بن أنس كساء

(٦) عُطَّارِدُ هو ابن حاجب بن زراة بن عدي التميمي الدارمي . وقد في بني تميم وأسلم  
 وحسن اسلامه .

(٧) السَّيْرَاءُ بكسر ففتح . قال مالك : أي حرير . وقال الأصمعي : ثياب فيها خطوط من  
 حرير أو قز .

(٨) جزء من حديث رواه مالك في الموطأ في « كتاب اللباس : باب ما جاء في لبس  
 الثياب » عن عبد الله بن عمر . ورواه البخاري في صحيحه . في « كتاب  
 اللباس : باب لبس الحرير للرجال » عن عمر بن الخطاب بهذا اللفظ : « إِنَّمَا  
 يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ » .

(٩) أي فيها خطوط حرير غليظة كالضلوع .

(١٠) في نسختي ق : ١ وق : ٣ : وَمَنْ تَرَكَ أُجِرَ عَلَى تَرَكَ . وهو الصواب .

(١١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن النعمان بن بشير  
 بهذا اللفظ : « الْحَلَالُ بَيْنَ ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهَا  
 كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ  
 فِي الْحَرَامِ » الحديث . وفي بعض رواياته اختلاف ، تراجع في مظانها .

إِبْرِيْسَمَ<sup>(١٢)</sup> كساه إياه هارون الرشيد ، إذ لم يكن ليلبس ما يعتقد أنه يَأْتُم بلباسه . والرابع الفرق بين ثياب الخبز وسائر الثياب المشوبة بالقطن والكتان ، فيجوز لباس ثياب الخبز اتباعاً للسلف ، ولا يجوز لباس ما سواها من القطن والكتان ، بالقياس عليها ، لأن الخبز إنما استجيز اتِّباعاً للسلف ، لأن لباسه رخصة ، والرخص لا يقاس عليها ، وإلى هذا ذهب ابن حبيب ، وهو أضعف الأقوال ؛ إذ لا فرق في القياس بين الخبز وبين غيره من المحررات التي قيامها حرير ، وطعمها قطن أو كتان ، لأن المعنى الذي من أجله استجاز لباس الخبز من لبسه من السلف أنه ليس بحرير محض موجود في المحررات وشبهها ، فهذا المعنى استجازوا لبسه لا من أجل أنه خبز ، إذ لم يأت أثر للتريخيص لهم في لباس الخبز ، فيختلف في قياس غيره عليه . وبالله التوفيق .

خبر : قد يُعَاب العالم بما لا يؤثر في عدالته

قال مالك : بلغني أن رجلاً دخل على رجل له قدر ، وهو يأكل ، فلم يعرض عليه<sup>(١٣)</sup> أن يأكل معه ، فعاب عليه ذاك ذلك الرجل ، فقال : ان في مستمعها أموراً كثيرة وقد يكون في العالم الأمر يعاب به .

قال محمد بن رشد : هذا كما قال ، لأن هذا مما يعاب به الرجل ، لأنه من مذموم الأخلاق ، وليس من مكارمها ومحاسنها وان النقص الذي يعاب به الرجل لا يخلو من أكثر البشر . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمَلْ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَّةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ »<sup>(١٤)</sup> .

(١٢) الإبريسم : والأبريسم الحرير معرَّبٌ .

(١٣) المراد : فلم يستدعه .

(١٤) رواه أبو موسى . وقد ورد في بعض روايات هذا الحديث تقديم وتأخير ، وزيادة =

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعُ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ »<sup>(١٥)</sup> وليس لهذا العيب تأثير في العدالة ، لأنه إنما يؤثر فيها العيوب في الأديان ، لا في الاخلاق ولا في الأبدان .

خبر في فضل أبي أيوب الأنصاري ، وعمر بن عبد العزيز

وقال مالك : بلغني أن الروم يستصبحون على قبر أبي أيوب الأنصاري . قال مالك : وبلغني أن صالح بن علي ، مرَّ بموضع قبر عمر بن عبد العزيز ، فقبل له : إن ها هنا راهباً قديماً فأرسل إليه لعله يعرف موضعه ، فقال عمَّنُ تسألني ؟ عن قبر الصديق ؟ .

قال محمد بن رشد : أبو أيوب الأنصاري هذا ، من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد ، عليه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجراً من مكة ، حتى بنى مسجده ومسакنه ، فانتقل إليها ، وكان رضي الله عنه ، مع علي ابن أبي طالب في الحروب كلها ، ومات بالقسطنطينية في خلافة معاوية<sup>(١٦)</sup> ، خرج إليها غازياً تحت راية يزيد فمرض بها ، فلما ثقل عاده يزيد ، فأوصاهم إذا مات أن يكفونه ثم يأمر الخيل بالركوب ، فيحملوه إلى حيث يقدر على الوصول إليه فيدفنونه تحت أقدامهم عند مصابقتهم<sup>(١٧)</sup>

وحذف . انظر الحديث : ٦٤٢٠ في الجامع الصغير للسيوطي وكتاب احاديث

الأنبياء : باب وضرب الله مثلاً في صحيح البخاري .

(١٥) رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير عن أنس ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة .

(١٦) اختلف في تاريخ وفاته ، فقبل سنة ٥٠ هـ وقيل سنة ٥١ قال ابن حجر في الإصابة : والأكثر على أنه توفي سنة ٥٢ هـ .

(١٧) مقاربتهم .

العدو، ففعلوا فقبره<sup>(١٨)</sup> عند سورها<sup>(١٩)</sup> معلوم معظم محفوظ يستصبحون عليه على ما قاله في الرواية ، ويستسقون به إذا أمحلوا<sup>(٢٠)</sup> فيسقون . ويروى أن يزيد أمر الخيل أن تُقبل وتُدبر على قبره ليعفَى أثره ، فقال لهم الروم صبيحة دفنهم إياه : لقد كان لكم<sup>(٢٠)</sup> شأن ، فقالوا : نعم صاحب لنا من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودفناه حيث رأيتم فوالله لئن نيشتموه ، لا يضرب لكم ناقوسٌ بأرض العرب ما دامت لنا مملكة ، فما أقدموا على ذلك بل تنافسوا في حفظه ، وتبركوا بقبره ، وذلك كرامة عظيمة من الله عز وجل . وقول الراهب في عمر بن عبد العزيز عن تسألني عن قبر الصديق ؟ هو من هذا المعنى ، لأن الله إذا أَحَبَّ عَبْدًا أَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَوَضَعَ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْطَلَقَتِ الْأَلْسِنَةُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ<sup>(٢١)</sup> . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أردتم أن تَعْلَمُوا ما للعبد عِنْدَ رَبِّهِ فَاَنْظَرُوا مَاذَا يَتَّبَعُهُ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ<sup>(٢٢)</sup> . وبالله التوفيق .

### خبر في صفة الريح التي عذب بها عاد قوم هود

قال مالك : وسُئلت امرأة من بقية قوم عاد يُقال لها هريمة أي عذاب الله أشد ؟ قالت : كل عذابه شديد ، وسلامة الله ورحمته ليلة لا ربح فيها ولقد رأيت العير يحملها الريح فيما بين السماء والأرض ، ويقال ما فتح عليهم إلا مثل حلقة الخاتم ،

(١٨) في ق ١ . وق ٣ . فقبره بها .

(١٩) يستعمل متعدياً ولازماً ، فيقال : محل المكان وأمحل بمعنى : أجذب .

(٢٠) في ق ١ وق ٣ : لقد كان لكم البارحة .

(٢١) رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة في كتاب الشعر . باب ما جاء في المتحابين في الله . بالفاظ تؤدي نفس المعنى .

(٢٢) رواه ابن عساكر عن علي ، ومالك عن كعب موقوفاً . بلفظ إذا أَحَبَبْتُمْ بدل . أردتم .

ولو فتح عليهم مثل منخر الثور لأكفت الأرض .

قال الامام القاضي : يشهد بصحة هذه الحكاية قول الله عز وجل : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣) يريد ما مرت به إلا جعلته كالريم أي كالشجر اليبس الهشيم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (٢٤) يريد : مما مرت به ، إذ لم تدمر هوداً ، ولا من كان آمن به ، وذلك أن هوداً لما خوّف قومه بعذاب الله إن لم يؤمنوا به ، سَخِرُوا بِهِ ، « وَقَالُوا : أَجِئْنَا لِتَفْكِنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ، قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ » (٢٥) أي لا يعلم متى يأتي العذاب إلا الله « وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ الْعَذَابُ وَرَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا فَرَحُوا بِهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَحَلٍّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ يَمْطَرُونَ بِهِ ، وَقَالُوا : كَذَبَ هُودٌ كَذَبَ هُودٌ فَلَمَّا خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ هُودٌ ، فَشَامَهُ (٢٦) قال لهم : « بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » فجاءتهم ريح جعلت تلقي الفسطاط ، وتجيء بالرجل الغائب ، وتذهب بالظعينة حتى ترى كأنها جرادة ، تدمر كل شيء مما مرت به ، ترمي بعضه على بعض وتُهلك . ومما قاله في الحكاية من قوله : ويقال ما فتح عليهم إلا مثل الخاتم ، ولو فتح عليهم مثل منخر الثور ، لاكفت الأرض ، هو مروى عن ابن عباس . ومثله لا يكون رأياً . قال : ما أرسل الله على عاد من الريح ، إلا قدر خاتمي هذا ونزع خاتمه . يريد والله أعلم فتح الله عليهم من خزائن ريح

(٢٣) الآية : ٤١ من الذاريات .

(٢٤) الآية ٢٥ من سورة الأحقاف .

(٢٥) الآيتان : ٢٢ - ٢٣ من سورة الأحقاف . وقد ذكرت قصة هود عليه السلام مع قومه

عاد في ثمان آيات من سورة الأحقاف ، من الآية : ٢١ إلى الآية : ٢٨ وذكر

المؤلف طرفاً منها ممزوجة بالشرح .

(٢٦) تطلع نحوه ببصره منتظراً له .

العذاب باباً إلا بقدر حلقة الخاتم . وبالله التوفيق .

### في الإشفاق من استفتاء من ليس من أهل الفتوى

قال مالك : إن ربيعة بكى فقيل له ما الذي يبكيك ؟  
أقضية نزلت بك ؟ قال : لا ولكنه أبكاني أنه استفتي من لا علم  
له . قال : وسمعت مالكا يقول : كان سليمان بن يسار أفقه  
رجل كان ببلدنا بعد سعيد بن المسيب والكثير ما كانا يتفقان في  
القول ، فكان إذا ارتفع الصوت في مجلسه ، أو كان مرا أخذ نعليه  
ثم قام .

قال محمد بن رشد : إنما بكى ربيعة من استفتى من لا علم له ، لأن  
ذلك مصيبة في الدين ، وهي أعظم من المصيبة في المال . قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَتَّزِعُهُ مِنْ قُلُوبِ  
النَّاسِ ، وَلَكِنَّهُ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ  
رُؤَسَاءَ جَهْلًا فَافْتَوُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (٢٧) فلا يصح أن يستفتى إلا  
من كان من العلماء الذين كملت لهم آلات الاجتهاد ، بأن يكون عارفاً  
بالكتاب ، والذي يجب عليه أن يعلم منه ما تعلق بذكر الأحكام من الحلال  
والحرام ، فيعرف مفصله ومجمله ، ومحكمه وناسخه ومنسوخه ، دون ما فيه  
من القصص والأمثال ، والمواعظ والأخبار ، ويحفظ السنن المروية عن  
النبي (٢٨) في ذلك من بيان الأحكام وناسخها ومنسوخها ويعرف معاني  
الخطاب وموارد الكلام ومصادره ، من الحقيقة والمجاز ، والخاص  
والمفصل والمطلق والمقيد ، والمنطوق والمفهوم ، ويعرف من اللسان ما

(٢٧) رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم ، والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن

عمر بن العاص لكن في بعض رواياته نقص ، وفي بعضها زيادة .

(٢٨) في ق . ١ . وق . ٣ . عليه السلام .

يفهم به معاني الكلام ويعرف أقاويل العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وما اتفقوا عليه مما اختلفوا فيه ، ويعرف وجه النطق والاجتهاد والقياس ، ووضع الأدلة في مواضعها والترجيح والتعليل . وما تضمنته هذه الحكاية من أن سعيد بن المسيب ، كان أفقه من سليمان بن يسار ، هو المشهور الذي ذهب إليه مالك ومن أخذ بناحيته . وأما ربعة وعبد العزيز بن أبي سلمة ، ومن أخذ بناحيتهما وأهل الكوفة ، فيقولون : سليمان بن يسار أفقهما ، وقد قيل إن الفقه كان له ، والذكر لسعد ، فهما جميعاً فرسا رهان في الفقه والدين والورع . وما حكاه عن سليمان بن يسار ، من أنه كان إذا ارتفع الصوت في مجلسه أو كان مرأخذاً نعليه ثم قام ، من أدل الدلائل على ورعه وخيره وفضله ، لأن رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكروه حتى في العلم ، فقد كان رسول أمير المدينة يقف بابن الماجشون في مجلسه إذا استعلى كلامه وكلام أهل مجلسه فيقول له يا أبا مروان : اخفض من صوتك ، وامر جلساءك يخفضوا من أصواتهم . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جَبَّسُوا مَسَاجِدَكُمْ صَيَّانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَيَبِعَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ وَسَلُّ سِيُوفِكُمْ وَرَفَعْ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ وَجَمْرُوهَا أَيَّامَ جُمُعِكُمْ وَاجْعَلُوا مَطَاهِرَكُمْ عَلَى أَبْوَابِ مَسَاجِدِكُمْ » (٢٩) . وبنى عمر بن الخطاب رحبة بناحية المسجد تسمى البطيحاء وقال : من أراد أن يلغظ وينشد شعراً ويرفع صوته ، فليخرج إلى هذه الرحبة<sup>(٣٠)</sup> والمراء في العلم منهبي عنه . فقد جاء أنه لا تؤمن فتنته ، ولا تفهم حكمته . وبالله التوفيق .

في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لم يحل ولا حرم إلا ما في كتاب الله

قال مالك : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(٢٩) رواه ابن ماجه عن واثلة : ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالضعف .

(٣٠) هذا الدرر في الموطأ

في اليوم الذي توفي فيه ، ووقف على بابه فقال : « إِنِّي لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا أُحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ - رَسُولِ اللَّهِ ، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ اَعْمَلَا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أُغْنِيكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » (٣٠) .

قال الامام القاضي : هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٣١) وقال : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣٢) فالمعنى في ذلك أن الله عز وجل نص على بعض الأحكام ، وأجمل القرآن (٣٣) في بعضها ، وأحال على الأدلة في سائرهما بقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣٤) فبين النبي عليه السلام ، ما أجمله الله في كتابه كما أمره به حيث يقول : ﴿ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٣٥) فما أحلَّ صلى الله عليه أو حرَّم ولم يوجد في القرآن نصاً فهو مما يبين من مجمل القرآن أو علمه بما نصب من الأدلة فيه . فهذا معنى قوله والله أعلم : « لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي

(٣٠) رواه البخاري في صحيحه . في باب : « وأنذر عشيرتك الأقربين » عن أبي هريرة كهذا : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال : يا معشر قريش أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً أو يا صفة عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سأليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً .

(٣١) سورة الأنعام . الآية : ٣٨ .

(٣٢) سورة النحل . الآية ٨٩ وأول الآية : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ .

(٣٣) كذا بالأصل وب . ق ٣ وب ق ١ . وأجعل القول .

(٣٤) سورة النساء . الآية : ٨٣ .

(٣٥) الآية : ٤٤ من سورة النحل . وأول الآية : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ .

كِتَابِهِ ، وَلَا أَحْرَمَ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا  
وَحْيٌ يُوحَىٰ (٣٦) (٣٧) .

في تفسير قول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
أَمَرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى

وسئل مالك عن تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى (٣٨) قَالَ : يَثْرِبُ فَتَفْتَحُ فِي رَأْيِي  
قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ  
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (٣٩) قَالَ : يَلُونَ الْمَدِينَةَ .

قال محمد بن رشد : تفسير مالك لهذا الحديث بين صحيح لا  
اختلاف فيه ، لان معناه أمرت بالهجرة من مكة إلى قرية تفتح منها القرى ،  
وهي التي يُسميهما الناس يثرب ، فكان كما قال صلى الله عليه وسلم  
فتحت عليه وعلى أصحابه بعده منها سائر القرى وهي المدن والامصار .  
وتمام الحديث في الموطأ وهو قوله : « يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي  
النَّاسَ كَمَا تَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » (٤٠) فمعنى قوله يقولون يثرب أي  
يسميها الناس يثرب وهي المدينة ، فسامها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المدينة ، وقوله « تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » ليس على  
عمومه ومعناه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يخرج من  
المدينة في حياة النبي عليه السلام ، ويرغب عن المقام معه إلا مريض

(٣٦) الآيتان : ٣ و ٤ من سورة النجم .

(٣٧) في ق . ١ وبالله التوفيق .

(٣٨) سيأتي تمامه .

(٣٩) الآية ١٢٣ من سورة التوبة .

(٤٠) ورواه البخاري أيضاً في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب الحج : « باب فضل

المدينة » .

الايمان ، وأما بعد وفاته ، فقد خرج منها إلى العراق والشام جماعة من جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس القرآن والاسلام ، لأنهم رأوا ذلك أفضل من المقام بالمدينة بعد النبي عليه السلام ، وان كان الصلاة في مسجده خيراً من الصلاة في ما سواه من المساجد الا المسجد الحرام<sup>(٤١)</sup> لعظم الأجر على تعليم الناس الإسلام والقرآن والله أعلم .

### في مواساة الأنصار للمهاجرين

قال : وسمعت مالكا لما قدم المهاجرون على الأنصار ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَاسُوهُمْ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : نُقَاسِمُهُمُ الثَّمَرَ ، قَالَ : أَوْغَيْرَ ذَلِكَ ، قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : يَكْفُونَكُمْ الْمَوْئِنَةَ وَتُقَاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَ ، قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا<sup>(٤٢)</sup> . قال : إن كان أحدهم لتكون له امرأتان فيخير أخاه في أيتهما شاء . وما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إلا وما دار من دور الأنصار إلا وفيها الأنصار .

قال محمد بن رشد : في هذا فضل الأنصار في مواساتهم المهاجرين القادمين عليهم وكفي بالثناء على ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾<sup>(٤٣)</sup> فيما أشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكفوهم المئونة ، ويقاسموهم الثمر .

(٤١) إشارة إلى الحديث الشريف المتفق عليه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

(٤٢) رواه البخاري في باب مناقب الأنصار عن أبي هريرة هكذا : قَالَتِ الْأَنْصَارُ : أَقِيمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ ، قَالَ : لَا . قَالَ : يَكْفُونَا الْمَوْئِنَةَ وَتَشْرِكُونَا فِي الثَّمَرِ ، قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

(٤٣) سورة الحشر . الآية : ٩ .

جواز المسابقات على ما ذهب إليه مالك وجميع أصحابه والشافعي فهو حجة له في إجازتها وتبطل عند أبي حنيفة فيما ذهب إليه من أنها لا تجوز قوله إنه صلى الله عليه وسلم : إنما ساق يهود خيبر من أجل أنهم كانوا عبيداً للمسلمين وبالله التوفيق .

### في ما يفضل به العراق على الشام

قال : وسمعت مالكا يقول : أقدم معاوية بن أبي سفيان رجلاً من أهل الدِّين والنَّهْزَلِ الشَّامِ ، فقال : سئل بعد ذلك كيف وجدت الشام ؟ فقال : ما رأيت إلا خيراً ، إلا أن ظمأ الهواجر الذي كان يصيبني بالعراق لم أجده ، وإني كنت أسمع المؤذنين يتجاوبون عند الصلاة ، وإني أسمع هاهنا النواقيس ، وإني كنت أجالس أقواماً يتخيرون طيب الكلام ، كما يتخير أطيب الثمر . قال سحنون هو عامر بن عبد قيس .

قال محمد بن رشد : فضل العراق على الشام بثلاثة<sup>(٤٤)</sup> أحدها ظمأ الهواجر فيها ، وهو شدة ما يصيب الصائم في صيامه فيه من أجل حره ، لأن العراق بلاد حرارة<sup>(٤٥)</sup> والشام بلاد باردة ، والأجور في الأعمال على قدر ما يلحق العامل من المشقة فيها ، فكان الصيام في العراق أفضل من الصيام بالشام ، ألا ترى أن أجر المتوضئ في الوضوء ، في زمان انبرد والشتاء أكثر من أجره في زمان الحر والصيف ، وذلك بين من قوله في الحديث : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُوا اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ »<sup>(٤٦)</sup> الحديث ، والثاني كثرة أهل الخير

(٤٤) في ق . ١ . وق ٣ . بثلاثة أشياء .

(٤٥) في ق . ١ . : بلاد حارة .

(٤٦) رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة في باب : انتظار الصلاة والمشى إليها .

وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة . باب : « فضل إسباغ الوضوء عند المكاره » .

فيه ، والثالث عدم سماع النواقيس فيه ، إذ لا أهل ذمة فيه ، وإن كان فيسير ، بخلاف الشام والله أعلم .

في ما يروى من فضل سعد بن معاذ

قال مالك : مر سعد بن معاذ بعائشة وهي في أطم من الأطم ، عليه درع مقلصة مشمرة الكمين ، فقالت عائشة : ما أخاف على الرجل الا من أطرافه ، وما رأيت رجلاً أجمل منه حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصيب أكحله (٤٧) فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ حَرْبُ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَتْ بَقِيَتْ فَأَبْقِنِي حَتَّى أَجَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْدَاءَهُ ، فلما حُكِمَ في بني قريظة ، توفي وفرح الناس وقالوا : نرجو أن تكون قد استجيبت دعوة سعد .

قال محمد بن رشد : سعد بن معاذ من فضلاء الصحابة من الأنصار، رُوِيَ عَنْ عَشَّةٍ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ فِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ثَلَاثَةٌ، لَمْ يَكُنْ بَعْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْهُمْ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ فِيهِ أَنَّهُ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِهِ (٤٨) . وفضائله أكثر من أن تحصى والأطم الحصون فمروره بعائشة وهي في حصن من الحصون كان في بعض غزواتها مع النبي صلى الله عليه وسلم لأنه عليه السلام كان يُقْرَعُ بَيْنَ نِسَائِهِ عِنْدَ غَزْوِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا (٤٩) . ولما رآته في درع مقلصة مشمرة الكمين أعجبها ذلك منه لما فيه مما يُبعد

(٤٧) في القاموس : الأكحل عرق في اليد ، أو هو عرق الحياة .

(٤٨) ورد في الحديث « اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَانِ ، لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه عن أنس وروى أيضاً من طرق أخرى عن جابر .

(٤٩) روى البخاري في صحيحه عن عائشة في « كتاب الهبة » « كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفْرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا أَخْرَجَهَا مَعَهُ » الحديث .

الكبر عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَابِ سَاقِيهِ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزْرَهُ بَطْرًا<sup>(٥٠)</sup> » وروى عن ابن عباس أنه كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصٌ قُطْنِيٌّ قَصِيرُ الطُّوْلِ ، قَصِيرُ الْكُمَيْنِ . وروى عن أنس قال : قَمِيصُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رُسْغِهِ<sup>(٥١)</sup> .

وكان سعدُ بنُ مُعَاذٍ أُصِيبَ أَكْحَلُهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بِسَهْمِ رُمِي بِهِ ، فَضْرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ ، وَنَقَلَهُ إِلَيْهَا لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، فَكَانَ يَعُودُهُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ نَزَفَهُ الدَّمُ فَمَاتَ مِنْ جُرْحِهِ بَعْدَ الْخَنْدَقِ بِشَهْرٍ وَبَعْدَ قَرِيظَةَ بَلِيالٍ ،<sup>(٥٢)</sup> وكان قد دعا الله قبل موته بما جاء في الرواية . وروى أنه قال في دعائه : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْ لِي شَهَادَةً وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ . فَلَمَّا نَزَلَ بَنُو قَرِيظَةَ عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَكَمَهُ فِيهِمْ فَحَكَمَ أَنْ تُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَيُسَيَّ نِسَاؤُهُمْ وَدَرَارِيهِمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَنْفَعَةٍ وَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

(٥٠) أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود وابن ماجه في كتاب اللباس . الأول في باب : ما جاء في إسبال الرجل ثوبه ، والثاني في باب : في قدر موضع الأزرار والثالث في باب : موضع الإزار أين هو ؟ .

وأخرج البخاري في كتاب اللباس ، باب : من جر ثوبه من الخيلا ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزْرَهُ بَطْرًا » وتقرأ بظراً بفتح الطاء وكسرها ومعناها تكبراً .

(٥١) روى هذا الحديث مع الذي قبله ابن حبان والحاكم بالفاظ أخرى . انظر كتاب اللباس بالتاج مع شرحه ج . ٣ .

(٥٢) توفي سنة ١٠٥ هـ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجُوا وَخَنَدَقَ لَهُمْ خَنَادِيقَ ، وَضُرِبَتْ رِقَابُهُمْ فِيهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمْ انْفَتَقَ عِرْقَهُ ، فَمَاتَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ اسْتُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ (٥٣) . وبالله التوفيق .

### في ترك الالتحاء بالعمامة

وسئل مالك عن العمامة يعتم بها الرجل في بيته عند غسله أو مرضه ، ويصلي بها في بيته ، لا يجعلها تحت حلقه ، قال : لا بأس بذلك ، يردده على أنه لا بأس بذلك .

قال محمد بن رشد : قوله لا بأس بذلك ، أي لا كراهية في ذلك وأما في المساجد والجماعات ، فيكره ترك الالتحاء بها ويقال : إن ذلك من بقايا عمل قوم لوط ، ولما كان التعمم من غير التحاء خلاف شكل العربي المستحسن ، كره تركه في المساجد ، اتباعاً لظاهر قوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٥٤) والمصلي يناجي ربه ، ويقف بين يدي خالقه ، وهو أحق من نزين له وقد رأى عبد الله بن عمر مولاة يصلي بغير رداء ، فقال له : أرايت لو كنتُ مُرسلك إلى السوق ، أهكذا كنت تمضي ؟ قال : لا قال : فاللهُ أحقُّ من تجمل له .

### في لباس القلانس

وسئل مالك عن القلانس ، هل كانت قديمة ومنسأ أول من أحدثها ؟ قال : كانت في زمان النبي عليه السلام ، وقبل ذلك فيما روي ، وكانت لخالد بن الوليد قلنسوة ، قاتل بها يوم اليرموك (٥٥) وكان اليوم شديداً ، فوقعت

(٥٣) انظر قصة سعد بن معاذ ب . ج . ٢ . من الإصابة . والاستيعاب بهامشها . وصحيح البخاري .

(٥٤) سورة الأعراف : الآية : ٣١ وأولها : ﴿ يا بني آدم ﴾ الخ .

(٥٥) كانت وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ .

من رأسه ، فدخل مدخلاً متعباً في طلبها حتى أخرجها ، فعوتب في ذلك ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلق ناصيته ، أخذت شعره ، فحملته فيها ، فلذلك طلبتها .

قال محمد بن رشد : القلانص ما كان لها ارتفاع في الرأس على أي شكل ما كانت . وقد روي عن ابن عمر أنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ<sup>(٥٦)</sup> . وهو يشهد لما قاله مالك في هذه الحكاية من أن القلانص كانت في زمن النبي عليه السلام وأنها من الزيِّ الحسن ، وبالله التوفيق .

### في سرد الصيام

قال : وسمعت مالكا يقول : سَرَدَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ الصِّيَامَ ، فْقِيلَ لَهُ : إِنْ قَوْمًا يَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ ، فَقَالَ : إِنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يَعْمَلُ الْأَشْيَاءَ لِيُوسِعَ عَلَى النَّاسِ ، وَقَدْ سَرَدَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ .

قال محمد بن رشد : سرد الصيام هو أن يتابع الرجل إياه ، فلا يفطر إلا في الأيام المنهى عن صيامها ، وذلك صيام الدهر وقد كرهه جماعة من العلماء لحديث أبي قتادة عن النبي عليه السلام أنه سئل عن صيام الدهر فقال : مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ<sup>(٥٧)</sup> أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(٥٦) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر .

(٥٧) عن أبي قتادة أن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ قال : لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ رواه الخمسة إلا البخاري .

صِيَامَ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا<sup>(٥٨)</sup> . ولا حجة لهم في الحديث ، لأن قوله فيه : « لا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » ليس معناه الدعاء عليه ، فيقتضي ذلك النهي عن صيام الدهر ، وإنما معناه ما صام وما أفطر ، لأن الحروف قد يبدل بعضها من بعض أي ما صام الصيام الذي أعلى مراتب الصوم ، إذ لا يؤمن أن يضعف على التماذي على ذلك ، أو على سائر ما كان يفعله من أعمال البر ، كالصلاة وقراءة القرآن ، وما أشبه ذلك من الأعمال التي قد يضعف عنها بمولات الصيام . وذكر في الرواية أن قومًا يحتجون لذلك بقول النبي عليه السلام لعثمان بن مظعون ، ولم يذكر فيها نص ما قاله له . وفي الصحيح عن أنس بن مالك أنه قال : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بِيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا وَقَالُوا : وَآيِنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا فَبَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي<sup>(٥٩)</sup> . فإن كان عثمان بن مظعون أحد هؤلاء الثلاثة رهط ، فهذا هو نص الكلام الذي قاله له ، وإن لم يكن هو فالكلام الذي قاله له ، هو ما كان في معناه والله أعلم ، يدل على ذلك تأويل مالك له ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعمل الأشياء ليوسع على الناس ، وهو تأويل جيد ، لأن معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم ويفطر ، وإن كان الأفضل أن يسرد الصيام مخافة أن يسرده الناس ، فلا يقدرّون على التماذي على ذلك ، ويضعفون عن سائر

(٥٨) رواه الجماعة .

(٥٩) رواه الشيخان والنسائي .

أعمال البر ، فلا يختار الرجل أن يترك سرد الصيام إلا مخافة أن يضعف على التماذي على ذلك ، وعن سائر أعمال البر ، لأن الصوم والفطر أفضل من سرد الصيام إذا لم يضعف عن التماذي ولا على شيء من أعمال البر ، فهذا معنى ما ذهب إليه مالك . يشهد بصحته قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ (٦٠) وقوله : ﴿ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٦١) وقول النبي عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا أَكَلُفُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ » (٦٢) وقوله : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلُوا فِيهِ بِرْفَقِي ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا ظَهْرًا قَطَعَ وَلَا أَرْضًا أَبْقَى » (٦٣) .

### في الحجامة والاطلاء يوم السبت والأربعاء

وسئل مالك عن الحجامة والاطلاء يوم السبت ويوم الأربعاء قال : لا بأس بذلك فليل له : فتفعله أنت قال : نعم وأكثره وأتعمده ، وليس يوم إلا وقد احتجمت فيه ، ولا أكره شيئاً من هذا لا حجامة ولا طلاءً ولا نكاحاً ولا سفراً في شيء من الأيام .

قال محمد بن رشد : هذا كما قال إنه لا بأس بالحجامة

(٦٠) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

(٦١) سورة الأنبياء . الآية ٧٨ .

(٦٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب صلاة الليل . قال ابن عبد البر . هذا منقطع من رواية اسماعيل . ووصله البخاري عن عائشة في كتاب الإيمان . باب : أحبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ . ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين . باب فضيلة العمل الدائم .

(٦٣) رواه البزار عن جابر بصيغة فَأَوْغَلْ لکن السيوطي في الجامع الصغير ضعفه وذكر أن الحديث الصحيح في الموضوع هو ما رواه في مسنده عن أنس « إِنَّ الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلُوا فِيهِ بِرْفَقِي » .

والاطلاء والنكاح والسفر وغير ذلك من الأشياء في يوم السبت ويوم الأربعاء ، لأن الامتناع من شيء من ذلك في يوم السبت ويوم الأربعاء ، من التطير الذي قد أبطله رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لَا طِيرَةَ » وبقوله : « لَا عَدْوَى ، وَلَا هَامَ وَلَا صَفَرَ »<sup>(٦٤)</sup> والأصل في تطير الناس بيوم الأربعاء ما جاء من أن الأيام النحسات - التي أهلك الله فيهما قوم عاد بالريح ، كانت ثمانية أيام أولها الأربعاء وآخرها الأربعاء . وهي الثمانية الأيام التي قال الله فيها : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾<sup>(٦٥)</sup> الآية والأصل في تطيرهم يوم السبت أن بني إسرائيل عدوا فيه فمسخهم الله قردة وخنازير . قال تعالى : ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾<sup>(٦٦)</sup> الآية . ولصحة ايمان مالكٍ بالقدر ، ومعرفته أن اليوم لا يضر ولا ينفع ، وتصديقه بما جاء عن رسول صلى الله عليه وسلم من إبطال التطير ، كان لا يكره حجامه ولا نكاحاً ولا شيئاً من الأشياء في السبت والأربعاء ، بل يعتمد ذلك فيهما ، وكذا ينبغي لكل مسلم أن يفعل ، لأن من يتطير فقد أثم . وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا طِيرَةَ . وَالطَّيْرَةُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ »<sup>(٦٧)</sup> ومعنى قوله من تطير : أي عليه إثم ما تطير به على نفسه ، يكون قد نفي ذلك في أول الحديث بقوله : « لَا طِيرَةَ » وباللغة التوفيق .

(٦٤) حديث صحيح رواه مسلم واحمد في مسنده عن السائب بن يزيد هكذا : « لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةً ، وَلَا صَفَرَ ، وَلَا غَوْلَ » ورواه البخاري واحمد عن أبي هريرة زيادة : « وَفَرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ » .

(٦٥) سورة الحاقة . الآية : ٧ .

(٦٦) سورة الأعراف : الآية : ١٦٣ وأول الآية : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ .

(٦٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في ج . ٩ من التمهيد لابن عبد البر .

### في بحث عمر بن عبد العزيز عن أفضية عمر بن الخطاب

قال مالك : وكان عمر يرسل إلى سعيد بن المسيب عن  
أفضية عمر بن الخطاب .

قال محمد بن رشد : وقع في بعض الروايات كان ابن عمر  
والصواب كان عمر ، يريد بذلك عمر بن عبد العزيز ، لأنه كان أتبع الناس  
لعمر بن الخطاب ، يسير في سيرته في جميع الأمور ، وذلك من جملة  
فضائله التي تؤثر عنه - وبالله التوفيق .

### في صيام أيام الغر

وسئل مالك عن صيام الغر الثلاثة الأيام : ثلاثة عشر ،  
وأربعة عشر ، وخمسة عشر ، فقال : ليس هذا ببلدنا وإنما -  
لأكرهه أن يتعمد صيامها وقال : الأيام كلها لله .

قال الإمام القاضي : وقعت هذه المسألة في هذا الرسم بعينه من  
هذا السماع من كتاب الصيام . وقد روي فيها وفي الأيام البيض ، وهي أول  
يوم من الشهر ، ويوم عشرة ، ويوم عشرين ، أنها صيام الدهر . وقد روي  
عن مالك أنه كان يصوم الأيام البيض . وقد كتب إلى هارون الرشيد في  
رسالته يحضه على صيام الأيام الغر ، ويذكر الحديث فيها . فإنما كره في  
هذه الرواية صيامها ولم يحض عليها مخافة أن يكثّر العمل بذلك لكثرة  
إسراع الناس إلى الأخذ بقوله ، فيحسب ذلك من لا علم عنده من  
الواجبات . وقد ذكرنا ذلك هناك .

### في ركوب البحر

قال وقال مالك : استأذن معاوية بن أبي سفيان عمر بن

الخطاب في ركوب البحر فأبى أن يأذن له ، فلما ولي عثمان بن عفان ، كتب إليه يستأذنه ، فأبى ثم رد عليه ، فكتب إليه عثمان : إن كنت تركبه بأهلك وولداك ، فقد أذنت لك ، فركبه معاوية ومعه امرأته بنت قرطة ، قال مالك : سأل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص عن البحر فقال : خلق ضعيف ، دود على عود ، إن ضاعوا هلكوا ، وإن بقوا فرقوا ، قال عمر : لا أحمل فيه أحداً ، فلما كان بعد عمر ، حمل فيه ، فلم يزل يركب حتى كان عمر بن عبد العزيز ، فاتبع فيه رأي عمر بن الخطاب .

قال محمد بن رشد : البحر على ما وصفه به عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فلا شك في أن ركوبه غرر ، وقد اختلف القضاء من عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، في إباحة ركوبه للناس ، فمنع من ذلك عمر بن الخطاب وتبعه في ذلك عمر بن عبد العزيز ، وأباحه عثمان بن عفان وإباحته استمر الأمر بعد خلافة عمر بن عبد العزيز إلى هلم جرا ، وهو الأظهر لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (٦٨) لأنه يبعد أن يعدد الله من نعمه على عباده ما حظره عليهم . ووجه المنع من ذلك أن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ لَمَّا احتمل أن يكون إخباراً بما يفعلون لا يقتضي الإباحة ، وجب أن يمنع من ذلك لما فيه من الغرر ، تعلق بظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٦٩) وبظاهر قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٧٠) ، وهذا في ركوبه في الحوائج وطلب المال والتجارة وأما في ركوبه في الجهاد والحج ، فلا اختلاف في جواز ركوبه في ذلك ، لم

(٦٨) سورة يونس . الآية : ٢٢ .

(٦٩) الآية : ٩٥ من البقرة .

(٧٠) الآية : ٢٩ من سورة النساء .

يختلف فيه قضاء الخلفاء والله أعلم . لأن السنة قد دلت على جوازه وذلك قول النبي عليه السلام لَأَمْ حَرَامٍ حِينَ نَامَ عِنْدَهَا ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ لُجَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرِ أَوْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ »<sup>(٧١)</sup> يريد في الجنة ، جزاء غزوهم في البحر ، يركبون لجهه ، وإذا جاز في الغزو ، فأحرى أن يجوز في الحج . وهذا إذا ركب في إبان ركوبه وأما في حين ارتجاعه ، فلا يجوز ركوبه في غزوه ولا حج ولا غيره . وهذا هو معنى قول عثمان بن عفان لمعاوية : إن كنت تركبه بأهلك وولئك ، فقد أذنت لك ، أي إن كنت تركبه في إبان ركوبه ، وفي حال ترجو السلامة فيه ، ولا تكون مغرراً بأهلك وولئك ، فقد أذنت في ركوبه في هذه الحال والله أعلم .

### فيما يذكر عن المغيرة بن شعبة في نكاح النساء

قال مالك : قال المغيرة بن شعبة وكان نكاحاً للنساء ، وكان ربما اجتمع عنده أربعة ، ثم يفارقهن جميعاً ، قال : كان يقول : صاحب المرأة الواحدة إن مرضت مرض معها ، وإن حاضت حاض معها ، وصاحب المرأتين ناراً تشتعلان .

قال محمد بن رشد : في هذا وصف ما كان عليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مما وهبه الله إياه من القدرة على كثرة الاستمتاع بالمباح من النساء ، وتلك فضيلة في الدنيا والآخرة لأن الرجل يؤجر في وطء زوجاته

(٧١) رواه مالك في الموطأ عن أنس في باب : الترغيب في الجهاد . وأخرجه البخاري في باب : الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء . ومسلم في كتاب الإمارة . « باب فضل الغزو في البحر » .

وجواريه وفي الاغتسال من وطء كل واحدة منهن كلما وطئها ، فهو يستمتع بالحلال ، ويؤجر باستمتاعه به ، فأى موهبة اعظم من هذه . وبالله التوفيق .

### في الأميرين في الغزو ، أحدهما في البر ، والآخر في البحر يجتمعان

قال مالك : أمر عثمان بن عفان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ، عمرو على البر ، ومعاوية على البحر ، فإذا اجتمعا فمعاوية الأمير ، فلما بلغا رأس مغزاهما أرسل معاوية إلى عمرو أن يأتيه فأبى فأرسل يعزم عليه ، فقال عمرو : وأنا أعزم على نفسي ألا آتيك ، فقال معاوية : فادن مني على شاطئ البحر ، فأتى عمرو على قوس متوكأ عليها ، فكلمه ما شاء الله ، فقال له معاوية : أشات أنت أم امه ؟ فقيل لمالك ما أراد أشات أنت ؟ قال يشنون فقال : أمه ؟ فقال قافلون .

قال محمد بن رشد : وقع في موطأ ابن وهب أشاتون أم أمه ؟ فقال : أمه فقفلوا جميعاً . وإنما لم يأت عمرو معاوية إذ عزم عليه في الإتيان إليه ، إذ لم يجب عليه الإتيان إليه من أجل أنه لم يجعل له عليه عثمان ابن عفان إمرة إلا إذا اجتمعا . ولعله قد كانت عليه في الإتيان إليه مشقة ، ولما سأله أن يدنو منه أجابه إلى ذلك لخفة الأمر عليه . والحكاية كلها بينة ، لا إشكال فيها ، وفيها إجازة الغزو في البحر وقد ذكرنا فوق هذا أنه مما لا يختلف في جوازه .

### في أن المؤمن إذا غدر لم يلزم الوفاء له بالإيمان

وسئل مالك عن أهل قبوس فيما كتب إليه عبد المالك بن

صالح إلى مالك من أمرهم فقال رأيت لهم عهداً كثيرة من معاوية وعبد المالك وسليمان وغيرهم ، فقلت يا أبا عبد الله : فإن عرف منهم عدو أتري أن يجلوا؟ قال : إني لا أرى ذلك إن عرف وتبين أن يجلوا منها .

قال الإمام القاضي : هذا بين على ما قاله ، لأن الوفاء بالآيمان واجب . قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (٧٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُسْلِمُونَ تَكَافُؤُهُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » وقال : يُجْبَرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ (٧٣) . فإذا أمن الإمام أهل البلد أن يقرؤا ببلدهم لزم ذلك من بعده من الأئمة ، ولم يكن له أن ينفضه ، فيجلّيه عن ذلك البلد إلا ان يحدثوا ما يُوجب ذلك عليهم . وبالله التوفيق .

### في الذي يوصي أن يحبس جواريه المدة الطويلة

وسئل مالك ف قيل له : إن محمد بن سليمان أوصى في جواريه ان يحبس سبعين سنة ، ثم هن أحرار ، فسأل أمير المؤمنين عنهن بعض من حضره ، فقال مالك ما رأى في ذلك ؟ فقال : منهم من رأى أن يبقين ومنهم من رأى أن يحبس قال مالك : يبعن أو يعتقن .

قال محمد بن رشد : قول مالك : يبعن أو يعتقن ، معناه يُنظر السلطان فيه ، فإن رأى أن يبعن بعن ، وإن رأى أن يعتقن اعتقن وعجل

(٧٢) سورة الإسراء . الآية : ٣٤ .

(٧٣) رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة هكذا « يُجْبَرُ عَلَى أُمَّتِي أَدْنَاهُمْ » ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة .

عتقهن ، هكذا قال في رسم المُحرم يتخذ الخرقه لفرجه من هذا السماع من كتاب العتق . ووجه النظر في ذلك أن ينظر في ذلك ، فمن كان له منهن من السن ما يعلم حقيقة أنها لا تعيش سبعين سنة ، بيعت إذ قد علم أن العتق لا يدركها ، فهي كمن أوصى لها بعتق بعد موتها ، ومن كان لها منهن من السن ما يمكن أن تعيش إليه عجل عتقها لأن بقاءها سبعين سنة ، من الضرر البين بها . وقد زدنا المسألة هناك بياناً ، وذكرنا ما فيها من الاختلاف . وأما قول من قال : إنهن يُبعن أو يحبسَن جملة من غير أن ينظر إلى اسنانهن يوم اوصى ، فلا يصح ، إلا أن يستوي أسنانهن في أنه يعلم في أنهن لا يعشن سنة ، أو في أنه يشبه أن يعشن أكثر من السبعين ، والله الموفق .

#### فيما يروى من مناقب سعد بن معاذ

قال مالك لما كان يوم بدر ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ، فَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فَقَامَ عُمَرُ ، فَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ قَعَدَ ، ثُمَّ قَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ كَأَنَّكَ إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَّبِعُونَ ، لَوْ أَتَيْتَ الْيَمْنَ لَسَلَلْنَا سِيوفَنَا وَاتَّبَعْنَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذُوا مَصَافِكُمْ » (٧٤) .

قال محمد بن رشد : هذا المقام المحمود من مناقب سعدٍ المأثورة وهي كثيرة ، لأنه من فضلاء الصحابة ، وكفى من الشهادة لفضله اهتزازُ عرشِ الرَّحْمَانِ لِمَوْتِهِ . وقد مضى قبل هذا شيء من خبره وقد وقع

في البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي عليه السلام وهو يدعو على المشركين فقال : لا تقول كما قال قوم موسى عليه السلام : أذهب أنت وربك فقاتلاً إنا هاهنا قاعدون ، ولكننا نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ، قال : فرأيت النبي عليه السلام أشرق وجهه وسره قوله (٧٥)

### في انحياز السرية إلى العسكر

وسئل مالك عن القوم يكونون في الغزو فيبعث السرية القليلة نحواً من عشرين أو ثلاثين ، فيلقون أضعافهم من العدو ، فيكثرون عليهم ، فيريدون أن ينحازوا إلى أصحابهم ، أترى لهم في ذلك سعة ؟ قال : نعم . وتأول كتاب الله ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ (٧٦) قيل له : أترى ذلك واسعاً لهم فيما بينهم وبين ما في القرآن ؟ قال : نعم .

قال الإمام القاضي : هذه مسألة فيها نظر لأنه لم ير لهم سعة في الانحياز إلى أصحابهم ، إلا إذا كان الذين لقوا من العدو أكثر من أضعافهم ، والذي يدل عليه القرآن ، أن للجماعة أن تنحاز إلى فئتها وإن كان العدد الذين لقوا أقل من مثلهم ، إذ ليس انحيازهم إلى فئتهم ليكروا ثانية فراراً . قال الله عز وجل : ﴿ومن يؤلّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئته فقد باء بغضب من الله﴾ (٧٧) الآية فدل ذلك على أنه ليس بفار من تحيز إلى فئته ليعود ، وقد جاء بيان ذلك في السنة روي عن

(٧٥) انظر غزوة بدر في صحيح البخاري .

(٧٦) الآية ٦٦ من سورة الأنفال .

(٧٧) الآية : ١٦ من سورة الأنفال .

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ فِي سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً ، فَكُنْتُ فِيْمَنْ حَاصٍ فَقُلْنَا كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ فَرَرْنَا مِنَ الرَّحْفِ ، وَبُؤْنَا بِالْغَضَبِ ؟ فَلَوْ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَبِتْنَا فِيهَا ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ عَرَضْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ كَانَتْ لَنَا تَوْبَةٌ وَإِلَّا ذَهَبْنَا فَأَتَيْنَاهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ فَخَرَجَ فَقَالَ مَنْ الْقَوْمُ ؟ فَقُلْنَا نَحْنُ الْفَرَارُونَ . قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ أَنَا فَتَّكُمُ وَأَنَا فِئَةٌ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَتَيْنَاهُ حَتَّى قَبَلْنَا يَدَيْهِ (٧٨) . والعكارون هم الكرارون ، فالمعنى في ذلك أنهم لما كروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فتهم ليرجعوا إلى ما يأمرهم به ، كان ذلك كراً منهم إليه ، وعودةً إلى ما كانوا عليه من بذلهم أنفسهم لقتال عدوهم ، فاستحقوا بذلك اسم العكَّارين ، لا الفرَّارين . وهذا عندي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الإمام فئته للسرية إذا خرجت من عنده فأقام هو يعيني الإمام في بلده ، وإنما يكون فئته لها إذا أخرجها من عسكره ، فلقيت جماعة ، وإن كانت أقل من مثليها فأنحازت إلى الفئته التي خرجت منها . والله الموفق .

### في عدة أصحاب بدر

وسئل عن عدة أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ثلاثمائة وثلاثة عشر .  
قال محمد بن رشد : في الصحيح للبخاري عن البراء بن عازب قال : كنا أصحاب محمد نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضع عشرة وثلاثمائة . وقد قيل : إنهم كانوا سبعة عشر وثلاثمائة سنة وثمانون رجلاً من

(٧٨) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر بالفاظ مختصرة عن رواية المؤلف في باب : ما جاء في الفرار من الزحف . وقال فيه : حديث حسن ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد .

المهاجرين كلهم شهدها بنفسه ، إلا ثلاثة رجال ، وهم : عثمان وطلحة وسعيد بن زيد فلم يشهدوها بأنفسهم . وضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهم وأجورهم ، فهم كمن شهدها واحد وستون رجلاً من الأوس ، ومائة وسبعون رجلاً من الخزرج واثان من الأوس (٧٩) . ذكر ذلك ابن عبد البر في الدرر في اختصار السير .

### في كتاب المغازي

وسئل مالك عن المغازي أترى أن تكتب ؟ فأنكر ذلك وقال : ما أدركت الناس يكتبونها ، ف قيل له من الناس ؟ أهل الفقه ؟ فقال : نعم ، ولا أرى أن تكتب ، ولا أحب أن أكتبها ، ولا أبتدع ذلك ، وما وجدت الناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه والتابعين ، القاسم وسعيد وسالم ، يكتبونها . ولقد أدركت شيخاً كبيراً قد زاد على المائة خمس سنين ما يقبل منه حديثه ، ويُعاب ذلك على من يقبله ويجرح .

قال محمد بن رشد : إنما كره كتاب المغازي بطولها مخافة مواقع الكذب فيها ، وإذ ليس في سياقتها بكمالها فائدة ، من تحليل أو تحريم ، تعبد الناس بحفظه والتفقه فيه ، كالأحاديث المروية عن النبي عليه السلام في الأحكام ووقع . في بعض الكتب مكان يجرح يطرح والمعنى في ذلك سواء .

(٧٩) سقط من الأصل ومن ق . ٣ هذه التتمة . « واستشهد بيد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين . وستة من الخزرج » . واثان الخ .

## في الأمر بإتقان العمل

وحدَّثنا مالك أن رسول الله عليه السلام وَقَفَ عَلَيَّ قَبْرَ فَكَأَنَّهُ رَأَى فِي لَبِنَةٍ خَلًّا فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُصْلَحَ ، وَقَالَ : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ عَمَلًا أَنْ يُحَسِّنَهُ أَوْ يُتَّقِنَهُ» (٨٠) .

قال محمد بن رشد : هذا حديث بين المعنى ، ليس فيه ما يخفى فيحتاج أن يُبين .

## في صفة مصحف مالك المكتوب على عهد عثمان

قال ابن القاسم : وأخرج إلينا مالك مصحفاً لجده ، فحدَّثنا أنه كتب على عهد عثمان بن عفان ، فوجد حليته فضة وأغشيته من كسوة الكعبة ، فوجدنا في البقرة : ﴿وَأَوْصَى﴾ (٨١) وفي آل عمران : ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٨٢) . وفي المائدة : ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٨٣) وفيها أيضاً : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (٨٤) وفي براءة : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٥) وفي الكهف : ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهُمَا مُنْقَلَباً﴾ (٨٦) وفي قد أفلح : كلها الثلاث لله وفي طسم «باخع»

(٨٠) راه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة بلفظ « إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ » .

(٨١) المراد : « وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَبَعْقُوبَ » الآية : ١٣٢ .

(٨٢) الآية : ١٣٣ .

(٨٣) الآية : ٥٣ .

(٨٤) المراد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ الآية ٥٤ .

(٨٥) الآية : ١٠٧ .

(٨٦) الآية : ٣٦ وأولها ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ .

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٨٧) وفي حم عسق ﴿فِيمَا كَسَبَتْ  
أَيْدِيكُمْ﴾ (٨٨) وفي الزخرف : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ  
الْأَعْيُنُ﴾ (٨٩) وفي الحديد : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٩٠) .  
وفي الشمس وضحاها : ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (٩١) وفي الطول :  
﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٩٢) .

قال الإمام القاضي : ما ذكر ابن القاسم في هذه الحكاية من أنه  
وجد في المصحف الذي أخرج إليهم مالك لجدته المكتوب على عهد  
عثمان ، في البقرة ، وفي آل عمران ، وفي المائدة ، وفي براءة ، وفي  
الكهف ، وفي قد أفلح ، وفي طسم ، وفي الطول هو كله مثل ما ثبت بين  
اللوحين عندنا في المصاحف ، وأما الذي ذكر أنه وجد في حم عسق ،  
وفي الزخرف ، وفي الحديد ، وفي الشمس وضحاها ، فهو خلاف ما ثبت  
بين اللوحين عندنا في المصاحف ، لأن الذي ثبت عندنا في حم عسق ﴿بِمَا  
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ . وفي الزخرف : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ﴾ ، وفي  
الحديد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وفي الشمس وضحاها : ﴿فَلَا يَخَافُ  
عُقْبَاهَا﴾ ولا تأثير في هذا الاختلاف ، إذ لا يتغير شيء منه المعنى ولا  
اختلاف أحفظه في إجازة تحلية المصحف بالفضة ، وأما تحليته بالذهب

(٨٧) المراد . الآية : ٢١٧ من سورة الشعراء .

(٨٨) المراد . الآية : ٣٠ من سورة : الشورى وسيأتي للمؤلف قريباً ذكر ما هو ثابت في  
المصاحف المتداولة في هذه الآية والآيات الثلاث بعدها وأنه لا تأثير لذلك  
الاختلاف .

(٨٩) الآية : ٧١ .

(٩٠) الآية : ٢٤ .

(٩١) الآية : ١٤ .

(٩٢) المراد الآية : ٢٦ من سورة غافر التي أولها : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ  
مُوسَى ﴾ .

فأجيز وكره ، وظاهر ما في الموطأ إجازته ، وقد أقام إجازة ذلك بعض العلماء من حديث فرض الصلاة قوله فيه : فَنَزَلَ جِبْرِيلُ (٩٣) فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْتَلٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ﴿٩٤﴾ والمعنى في إقامة ذلك منه خفي وقد بيته في موضعه وباللله التوفيق .

### في المعنى الذي من أجله تركت البسمة في براءة

قال مالك في أول براءة : إنما ترك من مضى أن يكتبوا في أولها بسم الله الرحمان الرحيم ، فكأنه رآه من وجه الاتباع في ذلك ، وكان في آخر ما أنزل من القرآن ، وسمعته يقول أخبرني ابن شهاب أن القتل استحر يوم اليمامة في القراء وحملة القرآن في خلافة أبي بكر الصديق ، فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جمعت القرآن فيني أخاف عليه ، أن يذهب ، فقال : أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلمه حتى عطفه بعض العطف ، ورأى ما قال ، فوقف واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا ذلك ، فجمعه أبو بكر ، وكتبه في الصحف ، فلما مات أبو بكر ، قبضه عمر ، وكان عنده ، فلما مات أوصى إلى حفصة ، فقبضته حفصة ، وكان عمر أوصى إليها وذلك في رأيي لمكانتها

(٩٣) في ق . ١ . صلى الله عليه وسلم .

(٩٤) جزء من حديث الإسراء والمعراج المشهور . وقد رواه البخاري عن مالك بن صعصعة في كتاب المناقب : باب المعراج ، وسلم في كتاب الإيمان . وتختلف بعض ألفاظ رواية المؤلف عن ما في المصدرين المذكورين .

من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبضت حفصة الكتاب ، فلما ولي عثمان بن عفان ، اختلف الناس في اختلاف القرآن اختلافاً شديداً ، حتى إن كان الرجل ليقول للرجل أنا أكفر بالذي تقول ، فلما رأى ذلك عثمان بن عفان ، بعث إلى حفصة يسألها الكتاب<sup>(٩٥)</sup> فأنت عليه فأعطاها أيماناً أخذتها عليه لا يزيد فيه حرفاً ولا ينقص منه حرفاً ، وأن يردها عثمان بن عفان وجميع القراء ، وأرسل إلى البلدان وجميع قراء الناس ، حتى إن كان الإنسان ليأتي بالآية في جريدة فكتبه عثمان بن عفان ، وردّه إليها ، وبعث في الأجناد يأمرهم بالقراءة ، فلما كان مروان بن الحكم ، أرسل إلى تلك الصحف التي كانت عند حفصة فأحرقها بالنار .

قال محمد بن رشد : ما تأوله مالك من أنه إنما ترك من مضى أن يكتبوا في أول براءة بسم الله الرحمان الرحيم من وجه الاتباع ، المعنى فيه والله أعلم : أنه إنما ترك عثمان ومن كان بحضرته من الصحابة المجتمعين على جمع القرآن البسمة بين سورة الأنفال وسورة براءة ، وإن كانتا سورتين ، بدليل أن براءة كانت من آخر ما أنزل الله من القرآن ، وأن الأنفال أنزلت في سنة أربع ، اتباعاً لما وجدوه في الصحف التي جمعت على عهد أبي بكر ، وكانت عند حفصة . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، مَا حَمَلَكُم أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ ، وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةِ وَهِيَ مِنَ الْمِثْنِينَ<sup>(٩٦)</sup> فَقَارَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوْلِ ، مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ ،

(٩٥) في ق ١ و ٣ الكتب .

(٩٦) وهي من المثاني المراد : من السور القصيرة . وبراءة من المثين . المراد : من السور الطويلة التي تربو آياتها على المائة .

وَهُوَ تَنْزَلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ وَدَخَلَ بَعْضُ مَنْ يَكْتُبُ<sup>(٩٧)</sup> يَقُولُ : ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ قَالَ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنزِلَ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ - يَعْنِي نَزولاً - وَكَانَتْ قَصَّتْهَا شَبِيهَةً بِقَصَّتِهَا ، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْهَا ، وَتُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَارَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ<sup>(٩٨)</sup> . فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهَا مِنْهَا ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَكْتُبْ بَيْنَهُمَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَذَلِكَ خِلافَ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ مِنْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهَا وَأَنَّهَا سُورَةٌ أُخْرَى فَاتَّبَعَ مَا وَجَدَ فِي الْمَصْحُفِ مِنْ تَرْكِ الْفَصْلِ بَيْنَهُمَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْهَا ، وَأَنَّهَا سُورَةٌ أُخْرَى بِدَلِيلِ افْتِرَاقِهِمَا فِي النُّزُولِ ، وَبِدَلِيلِ مَا رَوَى عَنْ أَوْسِ بْنِ حَازِمَةَ أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَيْفَ كُنْتُمْ تَحْزِبُونَ الْقُرْآنَ ، قَالُوا : كُنَّا نَحْزِبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ ، وَخَمْسَ سُورٍ ، وَسَبْعَ سُورٍ ، وَتِسْعَ سُورٍ ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً ، يَرِيدُونَ ، وَحِزْبَ الْمَفْصَلِ إِذْ قِيلَ : إِنَّ الثَّلَاثَ سُورِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ : الْبَقْرَةَ ، وَالْأَنْفَالَ ، وَالنِّسَاءَ ، وَالْخَمْسَ سُورِ : الْمَائِدَةَ ، وَالْأَنْعَامَ ، وَالْأَعْرَافَ ، وَالْأَنْفَالَ ، وَبَرَاءَةَ ، وَالسَّبْعَ سُورِ : يُونُسَ ، وَهُودَ ، وَيُوسُفَ ، وَالرَّعْدَ ، وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْحَجَرَ ، وَالنَّحْلَ ، وَالتَّسْعَ سُورِ : إِسْرَائِيلَ ، وَالْكَهْفَ ، وَمَرْيَمَ ، وَطهَ ، وَالْأَنْبِيَاءَ ، وَالْحَجَرَ ، وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَالنُّورَ ، وَالْفُرْقَانَ ، وَالْإِحْدَى عَشْرَةَ الطُّوَالِ ، وَالْعَنْكَبُوتَ ، وَالرُّومَ ، وَلِقْمَانَ ، وَالسَّجْدَةَ ، وَالْأَحْزَابَ ، وَسَبَأَ ، وَفَاطَرَ ، وَيَسَ وَالثَّلَاثَ عَشْرَةَ : وَالْحَاقَةَ ،

(٩٧) فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ : دَعَا بَعْضُ مَنْ يَكْتُبُ .

(٩٨) رَوَى التِّرْمِذِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

وصاد والزُّمر ، وحم يعني إلى حم ، وسورة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، والفتح ، والحجرات ، وحزب المفصل ، إلا أنه لما احتمل أن يكونا سورة واحدة لاشتباه قصصهما ، وإذ قد يجتمع في السورة الواحدة ما أنزل في أزمان متباعدة ولم يأت عن النبي عليه السلام نص بأنهما سورتان ، ولم يجد عثمان رضي الله عنه في الصحف بينهما فصل بسم الله الرحمن الرحيم اتبع ما وجدته فيها ، فكان اتباعه لذلك في موضع الاحتمال ، لا في موضع اليقين . والله أعلم بالحقيقة في ذلك كيف كان . وقد قيل : إنما ترك عثمان الفصل بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم ، لأنه حروف رحمة وسورة براءة ليست من جنس ما تراد به الرحمة ، لأنها إنما هي وعيدات ، وتخويات ، ونقض عهود ، وإبانة نفاق من نفاق ، وهذا يرده البسمة في : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾<sup>(٩٩)</sup> وقيل : إنه إنما ترك الفصل بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم إعظاماً لمخاطبة المشركين به ، وهذا يرده ما في كتاب الله من قصة سليمان في كتابه إلى صاحبة سبأ<sup>(١٠٠)</sup> وما في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ من كتابه إلى المشركين : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وإنما أخذت حفصة الأيمان على عثمان في الصحف أن لا يزيد فيها ولا ينقص منها ، لأنها ائتمنت عليها ، فلم ترد أن يغير شيئاً منها بزيادة ولا نقصان فوفى لها رضي الله عنه وعنهما بما وعدها به ، وحلف لها عليه ، وصرفها إليها على حالها ، بعد أن كتب ما فيها وزاد إليها ما خرج عنها مما ثبت عنده أنه قرآن ينقل الكافة عن الكافة ، لا بالشهادة على ذلك ، وما جاء من أن عثمان كان لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد عنده فيها رجلان ، ليس معناه حتى يشهدا عندها من القرآن ، وإنما معناه حتى يشهد عنده كل واحد منهما أنه

(٩٩) سورة الهمزة الآية ١ .

(١٠٠) المراد : الآية : ٣٠ من سورة النمل ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

أخذها عن النبي عليه السلام من فيه لا من غيره عنه ، وعلى موضعها من السورة التي هي منها مع حصول العلم أنها من القرآن باستفاضة نقل الكافة عن الكافة فما ذكر من أن الإنسان كان يأتي بالآية في جريدة ، معناه : كان يأتي بالآية فتذكر ، ويعلم أنها قرآن فيثبتها في المصحف بعد الشهادة عنده على موضعها من السورة ، وعلى سماع من في النبي عليه السلام ، وأثبت الآيتين من آخر سورة براءة قوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (١٠١) إله السورة ، بشهادة رجل واحد لما تضمنته مما هو معلوم من صفات النبي عليه السلام . وقد مر بي فيما أحسب أنه إنما أثبتها بشهادة خزيمة بن ثابت إذ قد جعل رسول الله شهادته كشهادة رجلين . ولما حصل العلم على أن ما تضمنه مصحف عثمان ، هو جميع القرآن لا زيادة فيه ولا نقصان منه ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٠٢) رأى مروان بن الحكم مع استشارته مع علماء عصره أن يحرق الصحف المجموعة من القرآن ، في زمن أبي بكر الصديق إذ كانت لم تستوعب جميعه ، وبالله التوفيق .

### في الإقبال على الذكر بعد الصبح وترك الكلام

قال مالك : وكان نافع مولى ابن عمر ؛ وسعيد بن أبي هند ، وموسى بن ميسرة ، يجلسون بعد الصبح يذكرون الله ثم ينصرفون حين السُّبْحَةِ وما يكلم أحد منهم صاحبه .

قال محمد بن رشد : وقعت هذه الحكاية في الصلاة الثاني من المدونة بهذا المعنى سواء وزاد فيها يفترون للركوع ، يريد أنهم كانوا

(١٠١) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

(١٠٢) سورة الحجر الآية : ٩ .

يجلسون في مواضعهم التي يصلون فيها للذكر ، وما يكلم أحدهم صاحبه ، فإذا حلت الصلاة تفرقوا لركوع الضحى ، ثم انصرفوا وهذا على ما ذهب إليه مالك من أنه يكره الكلام بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، ولا يكره فيما بين ركعتي الفجر إلى صلاة الصبح ، لما روي عن عائشة أنها قالت : **إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَانَةً حَدَّثَنِي حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْذُنُ فَيُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ** (١٠٣) وأهل العراق على ضد قول مالك يكرهون الكلام بعد ركعتي الفجر إلى صلاة الصبح ، ولا يرون به بأساً بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس . وقال أحمد بن خالد : **وَالسَّنَّةُ تَرِدُ مَا قَالُوا . وَمَا قَالَ مَالِكٌ حَدِيثَ عَائِشَةَ هَذَا يَرِدُ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَحَدِيثُهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟** (١٠٤) . يرد ما قاله مالك وحديث المكروه ما كان في تركه ثواب ، فإذا ترك الرجل الكلام بعد صلاة الصبح وأقبل على الذكر أجر على الذكر ، وعلى ترك الكلام ، وإن ترك الكلام ولم يذكر الله أجر على ترك الكلام عند مالك ، وعند أهل العراق لا يؤجر على الذكر خاصة ، إن ذكر الله ، كما يقول مالك في ترك الكلام بعد ركعتي الفجر إلى صلاة الصبح ، وبالله التوفيق .

### في الاختيار في قيام رمضان

وسئل مالك عن القيام في رمضان : **أَمَعَ النَّاسُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ يَنْصَرَفُ إِلَى مَنْزَلِهِ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْصَرَفُ إِلَى مَنْزَلِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ**

(١٠٣) ذكر جزءاً منه ابن عبد البر في التمهيد . ج . ٨ . ص ١٢٣ ط . مطابع الشويخ بتطوان .

(١٠٤) في كتاب الرؤيا من الموطأ : كان صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : هل رأى ؟ الحديث .

شك ، إذا كان ممن يقرأ القرآن ويقوي عليه ، وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في بيته . وحدثنا مالك أن يزيد بن عبد الله بن هرمز كان ينصرف إلى منزله ، ويقوم بأهله ، وكان ربيعة ابن عبد الرحمن ينصرف ولا يقوم مع الناس قال مالك : الانصراف لمن قوي عليه أفضل .

قال الامام القاضي : هذا كما قال ، والحجة في ذلك قول النبي عليه السلام : **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاتُكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ** (١٠٥) وقول عمر بن الخطاب إذ جمع الناس على قارئ واحد : **نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ** (١٠٦) . يعني آخر الليل . وكان الناس يقومون أوله وهذا للرجل في خاصة نفسه ، ما لم يكن ذلك سبباً لتعطيل القيام في المسجد ، لأنها سنة أحيها عمر بن الخطاب لما ارتفعت العلة التي من أجلها ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام في رمضان بالناس في المسجد ، وذلك أَنَّهُ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ، ثُمَّ صَلَّى الْقَابِلَةَ ، فَكَثَرَ النَّاسُ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : **رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ** (١٠٧) . **وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ . وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ ، خَشِيَةَ أَنْ**

(١٠٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن زيد بن ثابت بهذا اللفظ . « عليكم بالصلاة في بيوتكم . فإن خير صلاة المرء في بيته ، إلا الصلاة المكتوبة » .

(١٠٦) رواه البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري . . ج ٢ من التاج . في باب قيام رمضان وهو التراويح .

(١٠٧) رواه مالك في الموطأ في كتاب : الصلاة في رمضان . باب الترغيب في الصلاة في رمضان ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين . باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح .

يَعْمَلُ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ رَأَى الْقِيَامَ مَعَ النَّاسِ فِي رَمَضَانَ فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْبَيْتِ ، لِأَنَّهَا سَنَةٌ لَا يَنْبَغِي تَضْيِيعُهَا ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَذَهَبِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى نَحْوِ مَا اخْتَرْنَاهُ فَقَالَ : لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَامُوا فِي رَمَضَانَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَهْلِيهِمْ حَتَّى تَرَكَوا الْمَسْجِدَ لَا يَقُومُ فِيهِ أَحَدٌ لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ بَيْتِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى يَقُومُوا فِيهِ فِي رَمَضَانَ ، لِأَنَّ قِيَامَ النَّاسِ بِالْمَسْجِدِ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ ، وَهُوَ مَا سَنَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَجَمَعَهُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْجَمَاعَةُ قَدْ قَامَتْ فِي الْمَسْجِدِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ فِي دَارِهِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَمِنْ حُجَّةٍ مِنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » (١٠٨) .

### في حسن الصوت بالقرآن وما يخاف من العين

قال مالك : وكان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت بالقرآن ، فصلى بهم يوماً فأصابته العين حين قدم الشام .

قال محمد بن رشد : حسن الصوت بالقرآن موهبة من الله ، وعطية ، لأن حسن الصوت مما يوجب خشوع ورقة القلوب ، ويدعو إلى الخير . وقد قيل في قول الله عز وجل : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ (١٠٩) حسن الصوت وما يصيب المعين يقول العائن إذا لم يُبْرَكْ أمر أجرى الله به العادة في الغالب ، مع القدر السابق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

(١٠٨) رواه أبو داود والترمذي عن العرياض بن سارية ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وزاد في الرواية عقب الراشدين « المهديين » .

(١٠٩) سورة فاطر . الآية : ١ .

وسلم : عَلَى مَ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ ؟ أَلَا بَرَكْتَ ، إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ (١١٠) يريد إن الله قد أجرى العادة به ، لأن قول العائن هو المُحدث لما أصاب المعين وبالله التوفيق .

### في أن صُهيبياً صلى على عمر بن الخطاب

وسئل مالك هل صلى صهيبٌ على عمر؟ قال : نعم .

قال محمد بن رشد : حقق مالك في هذه الرواية أنه صلى عليه ومثله في رسم اغتسل على غير نية من سماع ابن القاسم من كتاب الجنائز ، ووقع في سماع أشهب منه . قلت له : أبلغك أن عمر بن الخطاب صلى عليه صُهيب؟ قال : لم أسمع ذلك ، ولكني أظن ذلك ، لقول عمر بن الخطاب يصلي بكم صهيبٌ ثلاثاً ، وهو ظني أن صهيبياً صلى عليه ، وذلك لقوله : يصلي بكم صهيبياً وهو ظن كاليقين لأنه يبعد في القلوب أن يستخلفه على الصلاة أيام الشورى فيصلي عليه غيره ، ولم يجتمعوا بعدُ على إمام . وهو صهيب بن سنان الرومي يعرف بالرومي ، وهو من العرب ، لأنه أصابه سبيٌ وهو صغير ، فصار أعجمي اللسان . صحب النبي عليه السلام قبل أن يوحى إليه ، ثم أسلم معه بمكة هو وعمار بن ياسر في يوم واحد ، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا فهو من المهاجرين الأولين (١١١) . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،

(١١٠) جزء من حديث رواه مالك في الموطأ في كتاب العين . باب : الوضوء من العين . عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه الخ وحديث العين حق رواه الشيخان موصولاً عن أبي هريرة . فأخرجه البخاري في كتاب . الطب . باب . العين حق . ومسلم في كتاب السلام . باب : الطب والمرض والرقى .

(١١١) ولد صهيب سنة ٣٢ ق هـ وتوفي سنة ٣٨ هـ .

فَلْيُحِبَّ صُهْبِيًّا حُبَّ الْوَالِدَةِ وَلَدَهَا» (١١٢) .

### حكاية عن مروان بن الحكم في

#### شدته في الحدود

قال مالك : حدثنا يحيى بن سعيد أن امرأة خرجت إلى بعض الحرار فلما نزلت قرقوة عرض لها رجل من أصحاب الحمر ، فنزل إليها ثم أرادها على نفسها فكشف عنها ثيابها فامتنعت منه فرمت بحجر فشجته ثم صاحت ، فذهب فأتت مروان ابن الحكم ، وكانت فيه شدة في الحدود فذكرت ذلك ، فسألها عن اسمه فلم تعرفه وقال لها : تعرفينه إذا رأيته ؟ قالت : نعم ، فأدخلت بيتاً ثم قال : ايتوني بالمكارين الذين يكرون الحمر ، وقال : لا يبقى أحد أكريموه ، إلا جئتموني به ، فأتوه بهم فجعل يدخل عليها رجلاً رجلاً فتقول : ليس هو هذا حتى يدخل عليها به مسجوجاً فقالت : هو هذا فأمر به مروان أن يحبس في السجن ، فأتى أبوه فكلمه فيه فقال مروان : جانيك من يجني عليك وقد تُعدي الصحاح مبارك الجرب فقال أبوه : ليس كذلك ، إنما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (١١٣) فقال مروان لاها الله لا يخرج منها حتى ينفدها الفيد ؟ وهم بما كشف منها فقال أبوه هي علي ، فأمر به مروان فأخرج ، فقيل لمالك : أترى هذا من القضاء يؤخذ به ؟ قال : ليس هذا عندي من القضاء ولكنه على غلطة من مروان ولقد كان مروان يُؤتى إليه بالرجال قد قبّل المرأة فينزِع ثِيْبَتَهُ . قال محمد بن رشد : وقعت هذه الحكاية في رسم مساجد القبائل

(١١٢) ذكره الأبي في شرحه لمسلم في فضائل صهيب .

(١١٣) سورة فاطر . الآية : ١٨ .

من سماع ابن القاسم من كتاب الحدود ، وما تضمنته عن مروان بأنه قضي للمرأة بدعواها على الذي ادعت عليه أنه أرادها على نفسها وكشف عن ثيابها بألفي درهم بما ادعت عليه من كشفه إياها مع الشبهة التي ألحقت التهمة به وحققت الظنة عليه ، لا يأخذ به مالك ولا يرى عليه القضاء به ، إذ لا يرى العقوبات في الأموال ، لأن العقوبات في الأموال أمر كان في أول الاسلام من ذلك ما روي عن النبي عليه السلام في مانع الزكاة أنا أخوذها منه ونظر عزمة من عزمات الاسلام وما روى عنه في حريسة الجبل أن فيها غرامة مثلها(\*) . وما روي عنه من أن سلب من أحد وهو يصيد في الحرم لمن أخذه . كان ذلك كله في أول الإسلام وحكم به عمر بن الخطاب ، ثم انعقد الإجماع بأن ذلك لا يجب ، وعادة العقوبات على الجرائم من الأبدان ، وقد أنكر ذلك على مروان بن الحكم فقالا على سبيل إنكار ذلك عليه ، إنه كان يؤتى بالرجل يقبل المرأة فينزح ثنيتيه . وهذه نهاية في الإنكار . والعقوبات في الجرائم عند مالك على قدر عقوبات الوالي وعظم جرم الجاني على ان لا يجاوز الحد وقد أمر مالك صاحب الشرط في الذي وجد مع صبي في سطح ، وقد جرده وضمه إليه وغلق على نفسه معه ، فلم يشكوا في المكروه بعينه ، أن يضربه ضرباً مبرحاً ويسجنه سجناً طويلاً حتى تظهر توبته ، وتبين ، فسجنه صاحب الشرط أياماً قبل أن يضربه ، فكان أبوه يختلف إلى مالك ويتردد ، ويقول : اتق الله فما خلقت النار باطلاً ، فيقول له مالك : أجل وإن الذي أبقى عليك ابنك لمن الباطل ، ثم ضربه صاحب الشرط أربعمئة سوط ، فانتفخ ، فمات ، فما أكبر ذلك مالك ولا بالي به . فقيل له يا أبا عبد الله : إن مثل هذا من الأدب والعقوبة لكثير ، فقال هذا بما اجترم وما رأيت أنه أمسه من العقوبة إلا بما اجترم وقال مطرف بن عبد الله في المبسوطة : الأدب إلى الحاكم موكل إلى نظره ، يؤدب في ذلك

(\*) لم أقف على نص هذا الحديث والذي قبله حتى يتأتى اصلاح ما تعرضت له الفاظهما من محو وتضبيب بالأصل ونسختي المقابلة .

باجتهاده وإن أتى الأدب على النفس وإخراج الروح ، وله في الواضحة إن أقصى ما يبلغ من الأدب في المعروف بالجرم ثلاثمائة فما دون ذلك . وروي عن أصبغ أن أقصى الأدب في جرم الفاسد البين الفساد مائتان . وروي عنه أن ذلك إلى اجتهاد الإمام ، وإن أتى على النفس وقد روي عن النبي عليه السلام من رواية ابن عباس أنه قال : « مَنْ بَلَغَ حَدًّا فِي غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ »<sup>(١١٤)</sup> . وذهب إلى هذا محمد بن مسلمة فقال انتهى غضب الله في الزانية والزاني إلى مائة جلدة ، فقال : « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ »<sup>(١١٥)</sup> فلم يجعل عليهما أكثر من ذلك فلا يتجاوز في العقوبة ثمانون سوطاً . وقد روى عبد الله بن مسلمة بن القعب عن مالك أنه لا يجاوز فيها خمسة وسبعين وأنه كان يقول الأدب عندي دون الحد والمشهور عنه المعلوم من مذهبه ، أن ذلك إلى اجتهاد الامام ، وهو مذهب ابن القاسم . وقال أبو حنيفة : لا يبلغ بالضرب أكثر من ثلاثة أسواط في الأدب ، ولا يزداد على الثلاثة إلا في حد . وروي ذلك عن الليث بن سعد ، وقال أبو يوسف لا يبلغ في الأدب ثمانين ، وقال ابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، لا يبلغ فيه مائة ، ومن أهل العلم من رأى أنه لا يضرب أكثر من عشرة أسواط . وروي مثله عن أشهب . قال لا يزيد السلطان في الأدب على عشرة أسواط ولا المكتب «كذا» على ثلاثة فإن زاد على ثلاثة اقتص منه . وقد مضى هذا كله في رسم مساجد القبائل من سماع ابن القاسم من كتاب الحدود .

### في فضل الزمن المتقدم على المتأخر

قال مالك : قال عبد الله بن مسعود : لَيْسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي

(١١٤) رواه البيهقي في السنن عن النعمان بن بشير . لكن السيوطي ضعفه كما في

الجامع الصغير .

(١١٥) سورة النور . الآية : ٢ وأول الآية : ﴿الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ .

قَبْلَهُ خَيْرٌ مِنْهُ ، فقال مالك : أراه منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : يا أبا عبد الرحمن : إن عامنا هذا أخصب وأرخص سعراً من العام الماضي ، فقال : أيهما أكثر فقهاء وقراء وأحدث عهداً بالنبوة ؟ قال : الذي مضى ، قال ابن مسعود ذلك الذي أردت .

قال محمد بن رشد : المعنى في هذا بين ليس فيه ما يشكل لأن صلاح الزمن وخيره إنما في صلاح أهله وكثرة الخير فيهم وفساده وشره إنما هو بفساد أهله وشرهم ، وقلة الخير والدعة فيهم ، والخير والصلاح في الناس بكثرة علمائهم وخيارهم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (١١٦) فزمن قرنه صلى الله عليه وسلم خير من زمن القرن الذي بعده وزمن القرن الذي بعده خير من زمن القرن الذي يليه ، وهكذا أبداً لأن الزمن إنما يُمدح بأهله ، لا بكثرة الرخاء والخصب فيه ؛ إذ قد يكثر الشر في زمن الرخاء فيكون زمناً مذموماً وتقل المعاصي والشر في زمن قلة الرخاء والجذب ، فيكون زمناً ممدوحاً . فهذا وجه قول ابن مسعود ما من عام الا والذي قبله خير منه . وبالله التوفيق .

### ما يجوز من فتنة المال

وحدثنا مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب لما رأى ما جُلب إليه من المال الذي أفاء الله عليه فقال : ما ظهر مثل هذا قط في أمةٍ إلا سفكت دماؤها ، وقطعت أرحامها ، قال مالك : ولا أرى دعاء بما دعا به إلا لما خاف من الفتن وقد كان يجب أن يعيش في الدنيا ويستمتع منها .

(١١٦) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عمران بن حصين بلفظ : خيركم قرني الخ .

قال الإمام القاضي : رضي الله عنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما ظهر مثل هذا في أمة إلا سفكت دماؤها وقطعت أرحامها، معناه : أن الناس بما ركب الله فيهم من حب المال والرغبة فيه ، والحرص عليه ، حسبما ذكره في كتابه حيث يقول : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ (١١٧) يتنافسون فيه ويتقاتلون عليه فيسفكون دماءهم ، ويقطعون أرحامهم بسببه . وقول مالك ولا أرى دعاء بما دعا به إلا لما خاف من الفتن ، يريد دعاءه الذي دعا عند صدره : من منا إذ أناخ بالأبطح ، فكوم كومة بطحاً ثم طرح عليها رداءه واستلقى ، ثم مدَّ يده إلى السماء ، ثم قال : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، واستشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط . وما قاله مالك من أنه إنما دعا بما دعا به لما خافه من الفتن بين ، من قوله رضي الله عنه : فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ، فإنما تمنى الموت مخافة أن يعيش فيمتحن بالفتن ، ويكون منه تضيع أو تفرط فيما يلزمه فيها ، إذ هو الخليفة للمسلمين . وقول مالك : وقد كان يحب أن يعيش في الدنيا ، ويستمتع بها ، ليس معناه أنه كان يحب أن يعيش فيها لمجرد التمتع بالشهوات المباحة ، وإنما معناه أنه كان يحب أن يعيش في الدنيا ويستمتع بما يقوى به على طاعة ربه ، ويتقرب به إلى خالقه من الصلوات والأعمال الزاكيات ، فخيرُ الناس من طال عمره ، وحسن عمله ، لأن زيادة السن زيادة في الفضيلة . ولهذا يقدم الأسن من الرجلين في الصلاة عند استوائهما في العلم والدين . والدليل على هذا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّجُلَيْنِ الْأَخْوَيْنِ اللَّذَيْنِ هَلَكَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَذَكَرَتْ فَضِيلَةُ الْأَوَّلِ عِنْدَهُ فَقَالَ : أَلَمْ يَكُنِ الْآخِرُ مُسْلِمًا ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَانَ لَا بَأْسَ بِهِ قَالَ : وَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ بَعْدَهُ ؟ إِنْمَا

مَثَلُ الصَّلَاةِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ يَبْدِلُ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ (١١٨) فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ (١١٩) . وليس قول عمر اللهم آقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ، بخلاف لما روي عن النبي عليه السلام من قوله : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ نَزْلٌ بِهِ » (١٢٠) لأنه إنما دعا بما دعا به ، شفقة على دينه ، وخوفاً من أن تدركه فتنة تصده عن القيام بأمر المسلمين في دينهم ودنياهم ، لما غضب به من الخلافة عليهم . والنهي إنما هو عن تمني الموت عند نزول المصائب في الدنيا وحلول البلايا فيها سخطاً بالقضاء وقلة رضي به ، وعدم صبر على الأذى والشدة لا عند الخوف على فساد الدين بحلول الفتن . والله أعلم .

### حكاية من سعد بن معاذ

قال مالك : وكان من أمر سعد حين مرَّ وعليه الدرع وهو

يقول :

مَهْلًا قَلِيلًا نَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَلَّ الْأَجَلَ

قال محمد بن رشد : حين مر وعليه الدرع المقلصة المشمرة

الكمين فقالت : ما أخاف على الرجل إلا من أطرافه . وقد مضى الكلام

على هذا في صدر هذا الرسم . وقوله في البيت : مهلاً قليلاً نلحق الهيجا

حَمَلٌ ، معناه الدعاء على أن يمهل الله على ضعفه حتى يلحق الحرب ، لأن

(١١٨) في صحيح مسلم : يغتسل .

(١١٩) رواه مالك في الموطأ في جامع الصلاة . ومسلم في كتاب المساجد . باب :

تكفير الصلوات الخمس الذنوب والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة . باب :

الصلوات الخمس كفارة .

(١٢٠) رواه البخاري عن أنس في كتاب المرضى : باب تمني المريض الموت

هكذا : ﴿ لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ أَصَابَهُ ﴾ .

الْحَمَلُ : الصَّغِيرُ من ولد الضَّأْنِ ، وقد يَحْتَمَلُ أن يكون قال ذلك وهو ضَعِيفٌ من الجرح الذي أصابه بالخندق ، فمات منه بعد شهر . وقوله في قسم البيت الثاني : لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَلَّ الْأَجَلَ . معناه لا أكره الموت في سبيل الله ، بل أرغبه إذا لم يكن منه بُدٌّ ، وحنان له الأجل . وبالله التوفيق .

### في إجلاء عمر يهود خيبر

قال مالك : قال ذلك اليهودي لعمر ، وَقَدْ أَقْرَنَّا مُحَمَّدًا فَقَالَ عُمَرُ : أَلَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ لَكَ : كَيْفَ بَكَ إِذَا رَقَصْتَ بِكَ قَلْوُصُكَ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ، قال : إِنَّمَا كَانَتْ هَزِيلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ فَقَالَ عُمَرُ : كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَضْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ (١٢١) .

قال محمد بن رشد : القائل ذلك لعمر من اليهود ، رجل من كفار أهل خيبر ، حين أجلا أهل خيبر عن خيبر بما ثبت عنده من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَبْقَيْنَ دِينَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ (١٢٢) » - وروي بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وجزيرة العرب هي منبتهم : مكة والمدينة واليمامة واليمن ، وقيل لها جزيرة العرب ، لإحاطة البحر والأنهار بها من أقطارها إلى البصرة ، فأبطل عمر احتجاج اليهودي عليهم في إجلائهم عن خيبر ، بإقرار النبي عليه السلام إياهم فيها بما أخبر أنه سمعه من النبي عليه السلام لأن ذلك يبدل

(١٢١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد بلفظ آخر قائلاً : وهذا الحديث قل من يرويه عن مالك . ج . ١٢ . ص ١٦ . مطابع الشيوخ ١٣ .

(١٢٢) رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب ، في باب : ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة هكذا : ﴿ لَا يَجْتَمِعُ دِينَانَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ﴾ وذكر محمد فؤاد توفيق في هوامش تحقيقه للموطأ . ج . ٢ . ص ٨٩٣ أن الحديث مرسل ، وهو موصول في الصحيحين عن ابن عباس ، فأخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ومسلم في كتاب الوصية .

على أن إقراره إياهم فيها لم يكن على التأييد بحق أوجه لهم ، وإنما كان لمنفعة المسلمين ، إلى أن يأمر بإجلاتهم فيُمَثَّل أمره فيها ، وذلك من أعلام نبوته ، لأنه أخبر بما كان قبل أن يكون ، فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم . وكذلك أجلا عمر رضي الله عنه يهود نجران وَفَدَّكَ . فأما يهود خيبر فخرجوا منها ليس لهم من الأرض والثمر شيء - وأما يهود فدك ، فكان لهم نصف الثمر ونصف الأرض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالحهم على ذلك ، فأعطاهم عمر قيمته من ذهب وورق وجمال وأقتاب وأجلاهم عنها . وبالله التوفيق .

### في السبب التي استحلت به رسول الله صلى الله عليه بني النضير

قال مالك : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير يستعينهم في دية فقعد في ظل جدار ، فأرادوا أن يلقوا عليه رَحًا . فأخبره الله بذلك ، فقام وانصرف ، فبذلك استحلتهم وأجلاهم إلى خيبر وَصَفِيَّةُ من أهلها ، سبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر قال : فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلاهم على أن لهم من أموالهم ما حملت الابل والصفراء والبيضاء . والخلقة والدنان ومَشَكُّ الحمل . قال الصفراء والبيضاء الذهب والورق (١٢٣) والخلقة السلاح والدنان الفخار ومَشَكُّ الحمل يستقى فيه الماء جلود يدبغونها بشعرها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه حين رجع إليهم : يَا أَخَايْتُ يَا وَجُوهُ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ (١٢٤) .

قال الإمام القاضي : الدية التي ذهب رسول الله صلى الله عليه

(١٢٣) في ق . ١ . والفضة .

(١٢٤) لم أفق عليه .

وسلم إلى بني النضير ليستعينهم فيها هي دية الرجلين الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية في منصرفه من بئر معونة ، بعد أن أسره عامر بن الطفيل وأطلقه وذلك أنهما نزلا معه في ظل ، فسألها ممن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلها حتى إذا نأما قتلها وهو يرى أن قد أصاب منهما ثأره من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر معونة ، وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فلما قدم على رسول الله وأخبره الخبر ، قال : لقد قتلت قتيلين كان لهما جوار ، لأدينهما ، هذا عمل أبي براء ، وذلك أن أبا براء الكلابي - ويعرف بملاعب الأسيئة ، كان قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم ينقد . وقال له : لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم لرجوت أن يستجيبوا لك ، فقال له النبي - عليه السلام : إني أخشى عليهم أهل نجد فقال : أنا جار لهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم جماعة من أصحابه . قيل في سبعين من خيار المسلمين ، فنهضوا حتى نزلوا ببئر معونة ، وبعثوا منها حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه حتى عدى عليه فقتله ، واستصرخ عليهم قبائل من سليم عُصيه ورعل وذكوان فأجابوه وخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوهم بهم في رحالهم ، فأخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوا حتى قُتلوا من عند آخرهم إلا من كان منهم غائباً في سرحهم . منهم عمرو بن أمية ، أسروه فأطلقه عامر بن الطفيل بعد أن جر ناصيته في رقبة كانت على أمه زعم . فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ، وكانت بينه وبينهم مودة ، ليستعين بهم في دية هذين القتيلين اللذين قتلها عمرو بن أمية ولهما منهما منه جوار . قالوا له : آجلس يا أبا القاسم حتى تطعم ، وترجع بحاجتك ، ونقوم نتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ، وعمر وعلي ونفر من الأنصار إلى جدار

من جُدْرهم فتأمروا على قتله ، وقالوا : مَنْ رجل يصعد على ظهر البيت فيلقي على محمد صخرة فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك بعضهم وهو عمرو بن جِحاش وأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه بما اتتمروا به من ذلك ، فقام ولم يشعر أحد ممن معه ونهض إلى المدينة ، فلما استبطأه أصحابه وراث عليهم خبره ، أقبل رجل من المدينة فسألوه ، فقال : لقيته وقد دخل أزقة المدينة ، فقالت اليهود لأصحابه : لقد عجل أبو القاسم قبل أن نقيم له حاجته ، ولحق به أصحابه بالمدينة ، فأخبرهم بما أوحى الله به إليه ونزل في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ﴿١٢٥﴾ الآية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيء ، إلى قتالهم وخرج بهم إليهم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فتحصنوا منه في الحصون ، فحاصرهم ست ليال ، وأمر بقطع النخل وإحراقها . ودس إليهم عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المنافقين أنهم يقاتلون معهم وينصرونهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴿١٢٦﴾ إلى قوله : لا ينصرون فلما جاءت الحقيقة خذلوهم وأسلموهم فألقوا بأيديهم وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكف عن دمائهم ويخليهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، فاحتملوا كذلك إلى خيبر ، وذلك معنى قوله في هذه الرواية : وأجلاهم إلى خيبر ومنهم من صار إلى الشام ، وكان ممن صار منهم إلى خيبر أكابرهم كحبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فدانت لهم خيبر فصفيئة بنت حبي بن أخطب من أهل خيبر كما قاله مالك في هذه الرواية ، لأن أباه حبي بن أخطب من بني النضير ، احتمل إلى خيبر ، فصار من أهلها . وروي عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلا بني النضير . قال لهم :

. (١٢٥) سورة المائدة . الآية : ١١ .

. (١٢٦) سورة الحشر . الآية : ١١ .

«أَمْضُوا فَهَذَا أَوَّلُ الْحَشْرِ وَأَنَا عَلَى الْأَثَرِ» (١٢٧) . وأنزل الله تعالى في ذلك في سورة الحشر : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٨) . وذلك أن المؤمنين جعلوا يخربونها من ظاهرها وجعلوهم يخربونها من أجوافها لما أيقنوا أن الله أعلم بغلبة المسلمين عليهم فيها . وقد قيل : إنما كانوا يخربون بيوتهم لينوا ببعضها ما هدم المسلمون من حصونهم . والأول أظهر . والله اعلم . وأنزل في أمرهم : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ (١٢٩) يقول عز وجل : لولا أن كتب على اليهود من بني النضير في أم الكتاب الانتقال من موضع إلى موضع ، ومن بلد إلى آخر لعذبتم في الدنيا بالقتل والسب . لكنني رفعت العذاب عنهم في الدنيا بالقتل ، وعذبتم فيها بالجلء ، ولهم في الآخرة عذاب النار مع ذلك ، وأنزل تعالى في أمرهم : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ . وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١٣٠) فكانت بنو النضير صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تخمس ، فكانت منها صدقاته على ما قاله مالك في رسم الوضوء والجهاد من سماع أشهب من كتاب الجهاد ، وما وقع في المدونة من أنه قسم النضير بين المهاجرين وثلاثة من الأنصار ، معناه ما بقي منها بعض صدقاته ، وإنما خص بذلك المهاجرين دون الأنصار ، حاشى سهل بن حنيف وأبي دُجانة ، لفقرهما ، والحارث بن الصمة ، لأنه كان شرط على الأنصار في بيعة العقبة ، أن يواسوا من يأتيهم من المهاجرين ، فكانوا يكفونهم المؤونة ، ويقاسمونهم في الثمر فلما جلا بنو قينقاع وبنو النضير ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن

(١٢٧) نظراً لطول أحاديث غزوة بني النضير ، وتعدد رواياتها فراجع في الصحيح ، وبنو النضير ، قبيلة من يهود خيبر ، على ميلين من المدينة .

(١٢٨) سورة الحشر . الآية : ٢ .

(١٣٠) الآية : ٦ من الحشر .

(١٢٩) الآية : ٣ من الحشر .

شِئْتُمْ بِقِيَّتُمْ عَلَى مَا كُتِّمْتُمْ عَلَيْهِ ، وَقَسَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ  
 أَمْوَالُكُمْ وَقَسَمْتُ لَهُمْ دُونَكُمْ» (١٣١) فاختاروا ذلك ففعله رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم . وقد وقع في رسم صلى نهاراً بعد هذا من قول مالك : إن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسَمَ قَرِيظَةَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَنَفَرَ مِنْ  
 الْأَنْصَارِ ، سَمِعْتُ مِنْهُ أَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ : سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَةِ ،  
 وَسِمَاكُ بْنُ حَرِشَةَ . قَالَ : فَأَمَّا النَّضِيرُ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَافِيَةً ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا  
 خُمْسٌ ، وَخَيْرٌ ، كَانَتْ صَافِيَةً إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهَا فَتَحَتْ عَنُودَ ، وَذَلِكَ يَسِيرٌ ،  
 فَخَمَسَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي الْمَدُونَةِ وَفِي سَمَاعِ  
 أَشْهَبَ عَنِ مَالِكٍ مِنْ كِتَابِ الْجِهَادِ ، هُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّ مَا لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ  
 بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، هُوَ الَّذِي لَا خُمْسَ فِيهِ ، وَلَا حَقَّ لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْسِمُهُ بِاجْتِهَادِهِ ، فَخَصَّ بِالنُّضِيرِ الْمُهَاجِرِينَ لِلْمَعْنَى  
 الْمَذْكُورِ ، إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَمِنْهَا كَانَتْ صَدَقَاتُهُ ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ  
 خَيْرٍ ، لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ خُمْسٌ ، وَلَا حَقَّ  
 لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَطَعَ مِنْهُ لِأَزْوَاجِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ  
 مِنْهَا قَدْ أُوجِفَ عَلَيْهِ بِالْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَخَمَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ، وَقَسَمَهُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ ، وَكَذَلِكَ قَرِيظَةٌ ، لِأَنَّهَا افْتَتَحَتْ بِقِتَالٍ ، وَلَمْ  
 يَسْلَمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجْلَانِ ، أَحْرَزَا أَمْوَالَهُمَا ، أَحَدُ يَامِنُ بْنُ عَمِيرٍ وَابْنُ  
 كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جِحَاشٍ . وَذَكَرَ أَنَّهُ جَعَلَ جَعْلًا لِمَنْ قَتَلَ ابْنَ عَمِهِ  
 عَمْرٍو بْنِ جِحَاشٍ لَمَّا هَمَّ بِهِ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### حكاية عن عمر بن عبد العزيز في

#### زهده وخوفه الله

قال مالك : أمر عمر بن عبد العزيز رجلاً يشتري له ثوباً

(١٣١) تراجع في الصحيح . وبنو قينقاع هم رهط عبد الله بن سلام الذي أسلم بعد  
 قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل في شأنه كما في الصحيح « وشهد  
 شاهداً من بني إسرائيل على مثله » .

بستمائة درهم ، للحاف ، فسخطه ، فلما ولى أمر ذلك الرجل ، أن يشتري له كساء بسبعة دراهم ، فلما جاء به أخذه فلبسه ثم تعجب لحسنه ، فضحك الرجل ، فقال له عمر : إني لأظنك أحق ، تضحك من غير شيء ، قال : إنما ضحكت لمكان اللحف الذي أمرتني أن اشتريه بستمائة درهم ، قال فصمت ساعة ثم قال : أخشى ألا يشتري أحد ثوباً بستمائة درهم وهو يخاف الله .

قال محمد بن رشد : هذا من زهد عمر بن عبد العزيز في الدنيا وخوفه لله نهاية في ذلك . وفضائله أكثر من أن تحصى ، ومناقبه مشهورة لا تخفى ، قد حصل الاجماع على الثناء عليه ، والشهادة بالخير له ، حتى قال ابن القاسم في رواية الصلت عنه على ما وقع في سماع عبد الله بن الحسن من كتاب الايمان بالطلاق : إن من حلف بطلاق امرأته أنه من أهل الجنة لا تطلق عليه امرأته . وقد مضى الكلام على ذلك هنالك . وبالله التوفيق .

### في أول ظعينة قدمت المدينة

قال مالك : كان أول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة ، فخرجت وحدها من مكة مهاجرة ، فرآها رجل من قريش فتبعها حتى إذا نزلت حط رحلها ورحل لها ، حتى إذا أرادت الرحيل تنحى عنها ، فإذا همّت بالرحيل رحل لها ، حتى رأى المدينة ، فقال لها هذا الموضع الذي تريدان ثم انصرف .

قال محمد بن رشد : أم سلمة هذه هي بنت أبي أمية بن المغيرة المعروف بزاد الراكب ، أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم زوج النبي عليه السلام ، كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله تحت أبي سلمة بن عبد الأسود فولدت له أولاداً منهم أبو سلمة الذي كُتبت به ، وهاجرت معه إلى

أرض الحبشة ، وذكر ابن عبد البر في كتاب الصحابة له : أنها أول من هاجرت مع زوجها إلى أرض الحبشة . وذكر في كتاب الدرر له : أن أول من خرج من المسلمين فاراً بدينه إلى أرض الحبشة عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم رجع أبو سلمة مع زوجته أم سلمة المذكورة من أرض الحبشة إلى مكة في جملة من رجع إليها لَمَّا كان اتصل بهم من أن قريشاً قد أسلمت أو أكثرها خبيراً كاذباً ، ثم هاجر أبو سلمة ثانية من مكة إلى المدينة ، وحبت عنه امرأته أم سلمة سنة ، ثم أذن لها باللاحاق بزوجها ، فانطلقت مهاجرة ، فكانت أول طعينة قدمت المدينة على ما قاله مالك في هذه الرواية . والرجل الذي شيعها من قريش حتى رآها تحل المدينة وكان كافراً هو عثمان بن طلحة وذكر ابن عبد البر في كتاب الصحابة من رواية محمد بن مسلمة المغني عن مالك قال هاجرت أم سلمة وأم حبيبة إلى أرض الحبشة ثم خرجت مهاجرة إلى المدينة ، وخرج معها رجل من المشركين ، وكان ينزل بناحية منها ، إذا نزلت ، ويسير معها إذا سارت ، ويرحل بعيرها ويتنحى إذا ركبت ، فلما رأى خيل المدينة قال : هذا الأرض التي تريدان ثم سلّم عليها وانصرف . والذي في هذه الرواية من أنها إنما خرجت من مكة مهاجرة يريد بعد رجوعها إليها من أرض الحبشة هو الصحيح والله أعلم .

### في تفسير بكة ومكة

قال : وسئل مالك عن تفسير مكة وبكة فقال : بكة موضع البيت ، ومكة غيره من المواضع يريد القرية .

قال محمد بن رشد : أراه أخذ ذلك والله أعلم من قوله عز وجل ، لأنه قال في بكة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ (١٣٢) وهو إنما وضع بموضعه الذي وضع فيه لا فيما سواه من

القرية . وقال في مكة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ (١٣٣) ، وذلك إنما كان في القرية لا في موضع البيت .

في ما جاء من أنَّ عبد المطلب حفر بئر  
زمزم

قال مالك رأى عبد المطلب أنه يُقال له : احفر زمزم ، لا تنزف ولا تهزم ، بين فرث ودم ، تروى الحجيج الأعظم ، في موضع التراب الأعصم . قال : فحفره .

قال الإمام القاضي : قد جاء في الصحيح أن ابراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان بينه وبين أهله ما كان خرج بابنه اسماعيل وأمه ومعهم شنة فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فوضعها تحت دوحة فجعلت تشرب من الشنة ويدرّ لبنها حتى لما فنى الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً فصعدت على الصفا فنظرت فلم تر أحداً ثم هبطت فلما صارت في الوادي ، رفعت رأسها فسعت سعي الإنسان المجهود ، ثم صعدت على المروة ، فلم تر أحداً فعلت ذلك سبع مرات وابنها يلتوي من العطش ، فلما كان في آخر ذلك ، سمعت صوتاً فأصغت إليه فقال : قد سمعت أن كان عندك غواث فإذا جبريل فقال بعقبه هكذا فاندفق الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفن قال : فقال أبو القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَوْ تَرَكْتَهُ كَانَ الْمَاءُ ظَاهِراً» (١٣٤) أي لكانت زمزم عيناً معيناً فيحتمل أن يكون بعد ذلك قد رفعت السيول فتلقاه الرمل والتراب حتى انطمس وعفى أثره ، فكان من عبد المطلب في حفره ما ذكر في هذه الحكاية والله أعلم .

(١٣٣) سورة الفتح . الآية : ٢٤ .

(١٣٤) رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما هكذا قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَرْحُمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا» .

## فيما يزعم الإمام الناس

قال مالك : بلغني أن عثمان بن عفان قال : ما يزعم الإمام الناس أكثر مما يزعمهم القرآن قال يزعمهم يكفهم .

قال محمد بن رشد : المعنى في هذا أن الذين يتتهون من الناس عن محارم الناس مخافة السلطان ، أكثر من الذين يتتهون عنها لأمر الله ، ففي الإمام صلاح الدين والدنيا ، ولا اختلاف بين الأمة في وجوب الإمامة ولزوم طاعة الإمام .

## من تكنية الصبي

وسئل مالك عن الصبي أيكنى ؟ قال : لا بأس بذلك ، فقيل له فكنت ابنك أبا القاسم ، قال : أمّا أنا فلا أفعله ، ولكن أهل البيت يكتونه فلا أرى بذلك بأساً .

قال محمد بن رشد : قوله في تكنية الصبي : إنه لا بأس بذلك يدل على أن ترك ذلك أحسن عنده ، ولذلك قال في تكنية ابنه : أمّا أنا فلا أفعله . وأهل البيت يكتونه . وإنما كان تركه أحسن ، لما في ظاهره من الإخبار بالكذب ، لأن الصبي لا ولد له يكتى عن اسمه به كما يفعل ذلك من له ولد من الرجال وجاز ولم يكن فيه إثم ولا حرج ، إذ لا يقصد بذلك إلى الإخبار بأنه والد للمكتى باسمه ، وإنما تجعل الكنية التي يكتى بها اسماً علماً له على سبيل الإكرام له والترفيه به وبالله التوفيق .

في دليل النبي عليه السلام في هجرته

إلى المدينة وما ظهر في ذلك

من معجزاته

قال مالك كان اسم الدليل : رقيط وكانوا أربعة : النبي عليه

السلام وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولي أبي بكر والدليل .  
قال محمد بن رشد : كذا وقع في بعض الكتب رُقيط وفي بعضها أريقت . وقال بن عبد البر في الدرر له : إن اسمه عبد الله بن أرقط . ويقال أريقت . وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر قد استأجراه حين خروجهما من مكة ليدل بهما إلى المدينة ، وكان معهما عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر ، فكانوا في مسيرتهم إلى المدينة أربعة كما قال ، وذلك أن النبي عليه السلام لما بايع أهل المدينة الأنصار ، ودخلوا في الإسلام ، وهاجر إليها من هاجر من المسلمين ، شق ذلك على قريش ، وقالوا : هذا شيء شاغل لا يطاق ، فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج ، فأمر النبي عليه السلام علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ، ودعا الله عزَّ وجلَّ أن يعمي عليهم أثره فطمس اللهُ تعالى على أبصارهم ، وخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم تراباً ونهض فلما أصبحوا خرج عليهم علي وأخبرهم أن ليس في الدار ديار ، فعلموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فات ونجا وتواعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبي بكر الصديق للهجرة ، ودفعا راحلتيهما إلى الدليل المذكور ، وكان كافراً لكنهما وثقا به ، فاستأجراه ليدل بهما إلى المدينة ، ثم نهضا حتى دخلا الغار بجبل ثور ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام ، ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم ، فيعفي آثارهما ، فلما فقدته قريش جعلت تطلبه بقائف معروف فقفا الأثر حتى وقف على الغار ، فقال هاهنا انقطع الأثر ، فانظروا فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار من ساعته ، وأمر الله تعالى حمامة فباضت على نسج العنكبوت ، وجعلت ترقد على بيضها ، فلما نظر الكفار إلى ذلك أيقنوا أن ليس في الغار أحد ، فرجعوا ، فقال أبو بكر للنبي عليه السلام : «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ لِأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا» .

فلما مضت لبقائهما في الغار ثلاثة أيام أتاها الدليل براحلتيهما وأسماء بسُفرتيهما ، وكانت قد شَقَّت نِطاقها ، فربطت بنصفه السُفرة ، وانتطقت النصف الآخر ولهذا سميت أم النطاقين<sup>(١٣٥)</sup> فركبا راحلتيهما وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ، وتقدمهم الدليل ، فصاروا أربعة كما قال في الحكاية ، حتى وصلوا إلى المدينة . وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : « خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ »<sup>(١٣٦)</sup> . وقد وصف أصحاب السير مراحلهم في طريقه مرحلة مرحلة ، وما كان منه فيها من أعلام نُبِوتِهِ المعجزات ، من ذلك خبره مع سراقه ابن مالك بن جعشم وذلك أنهم مروا في مسيرهم بناحية موضع سراقه ابن جعشم ، فلما رأهم علم أنهم الذين جعلت فيهم قریش ما جعلت لمن أتى بهم ، فركب وتبعهم ليردهم بزعمه ، فدعا عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فساخت يدا فرسه في الأرض ، ثم استقلت فأتبعها دخان ، فعلم أنها آية فناداهم قفوا علي وأنتم آمنون فوقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم به فساخت يدا فرسه ، فقال : ادع الله لي فلن ترمني ما تكره ، وأنا أنصرف عنك الطلب فدعا له فاستقلت فرسه ، وسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكتب له كتاباً فأمر أبا بكر فكتب له وانصرف ، وجعل يرد كل من لقي يقول لهم : قد كفيتمكم هذه الناحية فكان أول النهار طالباً لرسول الله وآخره معه راداً للطالبيين عنه . وخبره مع أم معبد حين مروا بها في خيمتها في شاتها الحائل على ما هو مشهور معلوم بنقل الثقات وساروا على غير الطريق المعهودة حتى وصلوا إلى المدينة فنزلوا بقباء ضحى يوم الاثنين ، وقيل عند استواء الشمس ، لاثنتي عشرة ليلة خلت لربيع الأول وأول من رآه رجل من اليهود وكان أكثر أهل المدينة قد خرجوا ينظرون إليه ، فلما ارتفع النهار وقلصت الظلال ، واشتدَّ الحرَّ يَسَّسوا منه وانصرفوا ورآه

(١٣٥) في ق ١٠ ؛ ذات .

(١٣٦) رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدرکه عن ابن عباس . والمراد خير الرفقة في السفر أربعة ، لأنه لا يتم الأُنس والأمن والمعونة إلا بأربعة .

رجل من اليهود كان في نخل له ، فصاح : يا بني قيلة : هذا جدكم قد جاء يعني حظكم ، فخرجوا وتلقوه ، فقيل : إنه دخل معهم المدينة فقيل : إنه نزل على سعد بن خيشمة وقيل : إنه نزل على كلثوم بن هرم ، وكان فيمن خرج إليه قوم من اليهود كان فيهم عبد الله بن سلام ، قال : فلما نظرت إلى وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه : أَيُّهَا النَّاسُ أَقْسُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ (١٣٧) .

### في الحسد

قال مالك : بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح ، حسد إبليس وتكبر على آدم ، وشح آدم فقيل له : كل من شجر الجنة كلها إلا التي نهاه الله (١٣٨) فشح فأكل منها .

قال محمد بن رشد : الحسد من الذنوب العظام لأن الله تعالى نهى عنه وحرّمه في كتابه وعلى لسان رسوله فقال عز وجل : ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (١٣٩) وقال : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١٤٠) أن يعطيه مثل ما أعطاه لغيره ، دون أن تزول

(١٣٧) رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة . لكن بلفظ الإفراد : أفش السلام الخ قال العجلوني في كتابه : « كشف الخفا ومزيل الإلباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » : إن هذا الحديث روي بروايات كثيرة .

(١٣٨) في ق ١ و ٣ نهاه الله عنها .

(١٣٩) سورة النساء ، الآية : ٣٢ .

(١٤٠) النساء : ٥٤ . وقد سقط من الأصل ما هو مثبت بنسختي ق ١ و ٣ وهو هذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » والحسد هو أن يكره الرجل أن يرى النعمة في شيء من الأشياء على غيره ، ويتمنى أن تنتقل عنه إليه وأما أن يسأل الله من فضله أن يعطيه الخ والحديث متفق عليه .

النعمة عنه فليس ذلك بمحذور ولا حسد ، وإنما هو الغبطة ، تقول غبطت الرجل في كذا ، وحسدته عليه ، فالغبطة مباحة ، والحسد محذور . قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ لِلْقُرْآنِ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» (١٤١) معناه لا حسد أصلاً ، لكن في هذين الاثنتين تغابطا فيهما فالاستثناء في الحديث استثناء منقطع ، ومن الناس من ذهب إلا أن قول النبي عليه السلام ، ليس على عمومه ، لأن النبي عليه السلام قد أباحه في الخير ، وقال لا حسد إلا في اثنتين ، والذي ذهب إلى هذا قال : إن الحسد على وجهين : حسدٌ معه بغيٌ ، وحسدٌ لا بغي معه . وروي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «إِذَا حَسَدُ ثُمَّ فَلَا تَبْغُوا» والبغي والله أعلم هو أن يريد الإضرار بالمحسود بزوال النعمة عنه ، فالحسد الذي لا بغي معه جائز ، والحسد الذي معه البغي محذور . فالحسد على هذا ينقسم على قسمين : حسد في الخير ، وحسد في المال ، فالحسد في الخير مرغوب فيه ، إذ لا بغي فيه ، والحسد ، في المال جائز إذا لم يكن معه بغي ، ومحذور ، إن كان معه بغي ، وكذلك الكبر محذور مذموم ، لأن الكبرياء إنما هي لله تعالى فمن تكبر قصمه الله ومن تواضع رفعه الله . والشح على وجهين : شح بالواجبات ، وشح بالمندوبات ، فأما الشح بالواجبات فحرام ، وأما الشح بالمندوبات فمكروه . فمن وقى الشح في الوجهين فقد أفلح قال عز وجل : ﴿مَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٤٢) . وقوله في آدم : فشح فأكل منها . معناه فشح أن يأكل من ثمر الجنة التي أباح الله له الأكل منها إبقاءً عليها وشحاً بها وأكل من التي نهاه الله عنها . والله الموفق .

(١٤١) رواه الشيخان وأحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر . وروي عن أبي هريرة

أيضاً وفي بعض (رواياته : علمه القرآن بدل آتاه) .

(١٤٢) سورة التغابن . الآية : ١٦ .

## في الأدب في الأكل

وسئل مالك عن رجل يأكل في بيته مع أهله وولده ، فيأكل معهم فيما بينهم ، ويتناول ذلك من أيديهم ، قال : لا بأس بذلك وسئل مالك عن القوم يأكلون في مثل الحرس ، فيتناول بعضهم بين يدي بعض ، وبعضهم يتوسع لبعض . قال لا خير في ذلك ، وليس هذا من الأخلاق التي تعرف عندنا .

قال محمد بن رشد : إنما لم ير بأساً إذا أكل الرجل في بيته مع أهله وولده ، مما يليهم ، لأن الرجل لا يلزمه أن يتأدب مع أهله وولده في الأكل ، ويلزم أهله وولده أن يتأدبوا معه فيه ، وعليه هو أن يأمرهم بذلك على ما جاءت به السنة عن النبي عليه السلام في قوله لربيبة عمر بن أبي سلمة «سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ»<sup>(١٤٣)</sup> وكذلك الرفقاء إذا اجتمعوا في الأكل يلزم أن يتأدب كل واحد منهم في أكله مع صاحبه ، فلا يأكل إلا مما يليه على ما قاله مالك في القوم يأكلون في مثل الحرس أو في مثل الجريش على ما وقع في بعض الكتب . وهذا في الطعام الذي صفتة واحدة ، لا تختلف أغراض الأكلين فيها كالثريد واللحم وشبهه ، وأما الطعام المختلف الذي تختلف أغراض الأكلين فيه ، فلا بأس أن يتناول بعضهم ما يعجبه منه ، وإن كان يلي غيره . وقد جاءت به السنة . رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِكْرَاشِ بْنِ ذُوَيْبٍ قَالَ : بَعَثَنِي بَنُو مَرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِصَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَأَتَيْتُهُ بِإِبِلٍ كَانَتْهَا عُرُوقُ الْأَرْضِ فَقَالَ : مَنِ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ عِكْرَاشُ بْنُ ذُوَيْبٍ ، فَقَالَ : أَرْفَعُ فِي النَّسَبِ فَقُلْتُ : ابْنُ حُرْقُوصِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّزَالِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ . وَهَذِهِ صَدَقَاتُ بَنِي مَرَّةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، فَتَبَسَّمَ

(١٤٣) رواه مالك في الموطأ عن أبي نعيم وهب بن كيسان .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ : بَلْ هَذِهِ إِبِلٌ كَرَمِي ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُوسَمَ بِمَيْسَمِ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَتُضَمَّ إِلَيْهَا ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى مَنْزِلٍ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : هَلْ مِنْ طَعَامٍ ؟ فَأَتَتْنَا بِجَفَنَةٍ كَثِيرَةِ الثَّرِيدِ وَالْوَدَكِ فَأَقْبَلْنَا نَأْكُلُ مِنْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَجَعَلْتُ أَحْبَبُ فِي نَوَاحِيهَا فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ أَلْيَسْرَى عَلَى يَدِي الْيُمْنَى . وَقَالَ : «يَا عَكَرَاشُ كُلِّ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُ طَعَامٌ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَتَتْنَا بِطَبَقٍ فِيهِ أَلْوَانٌ مِنْ رُطْبٍ أَوْ ثَمَرٍ شَكَّ عَبْدُ اللَّهِ بَيْنَ عَكَرَاشِ رُطْبًا كَانَ أَوْ ثَمَرًا ؟ فَجَعَلْتُ أَكُلُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْي فَجَالَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّبَقِ وَقَالَ : يَا عَكَرَاشُ كُلِّ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ ثُمَّ أَتَتْنَا بِمَاءٍ فَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَسَحَ بِبَلَلِ كَفَيْهِ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَرَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ : «يَا عَكَرَاشُ هَذَا أَلْوَضُوءٌ» (١٤٤) .

### في كراهية التنعم وزِيِّ الأعاجم

قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب قال : إِيَّايَ وَالتَّنَعَمَ وَزَيِّ الْأَعَاجِمِ .

قال محمد بن رشد : قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إِيَّايَ وَالتَّنَعَمَ معناه : التحذير من التنعم بالمُبَاحَاتِ فِي الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَرُّعِ فِيهَا ، وَالتَّقَلُّبِ مِنْهَا ، لِأَنَّ مِنَ تَنَعَمِ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، فَلَا يَدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ تَنَعَمِهِ ، وَمَا يَجِبُ لِلَّهِ (١٤٥) مِنَ الْحَقُوقِ فِيهِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (١٤٦) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلُوهُ عِنْدَ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانَ ، وَقَدْ صَنَعَ لَهُمْ

(١٤٤) ساق طرفاً من هذا الحديث ابن عبد البر في الاستيعاب ، في ترجمة «عَكَرَاشُ» وَضَبَطَهُ فِي الْإِصَابَةِ بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّهُ قَالَ : لَهُ صَحْبَةٌ ، إِلَّا إِنِّي لَسْتُ بِالْمُعْتَمَدِ عَلَى اسْتِنَادِ خَبْرِهِ .

(١٤٥) فِي نَسَخَتِي ق ١ . ١٠ وَق ٣ . وَمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ . (١٤٦) سُورَةُ الْهَمْزَةِ . الْآيَةُ ٨ .

خبزاً من شعير وذبح لهم شاة واستعذب لهم ماء فعلق في نخلة ، لتسألن عن النعيم هذا اليوم . ومن حق المسلم الخائف لله ، لا يتنعم في الدنيا ، ويطوي بطنه عن جاره وابن عمه ، وقد أدرك عمر بن الخطاب جابر بن عبد الله ومعه حمل لحم ، فقال : ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قدمنا إلى اللحم ، فاشترت بدرهم لحماً فقال عمر : أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره وابن عمه ؟ أين تذهب هذه الآية : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ (١٤٧) وأما زي العجم ، فإنما نهى عنه عمر بن الخطاب لما فيه من التشبه بهم ، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ رَضِيَ عَمَلَ قَوْمٍ كَانَ شَرِيكَ مَنْ عَمَلَهُ » (١٤٨) . فزي العجم منهى عنه ملعون لابسه ، وكذلك سيوفهم وشكلهم ، وجميع زيهم ، هو مثله في اللعنة والكرامة ، قال ذلك ابن حبيب في الواضحة ، فلا يجوز لأحد لبسه في صلاة ولا غيرها ، ومن جهل فلبسه في الصلاة فلا إعادة عليه إذا كان طاهراً وقد أساء . وبالله التوفيق .

### في إثارة الرجل المساكين على نفسه بالطيب من الطعام

قال مالك : كان طاوس يشتري الجزرة لسُفرتِهِ ، فيدفعها إلى المساكين قبل أن يذبحها ، وكان يعمل الطعام الطيب ، ويدعو إليه المساكين ، ف قيل له : لو دعوت أشرف الناس ،

(١٤٧) سورة الأحقاف الآية : ٢٠ وأول الآية : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ .

(١٤٨) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه . وقد اقتصر السيوطي في الجامع الصغير على ذكر صدر الحديث ، ونقل العجلوني في كتابه « كشف الخفا » عن كتاب : اللآلي والمقاصد ، أن في سنده ضعيفاً ، وعقب على ذلك بقوله : لكن قال العراقي سنده صحيح .

فقال : لا إن هؤلاء لا عهد لهم بمثل هذا ، فقبل لمالك : فإنه كان بمصر رجلٌ يسمى مروان اليحصبي يفعل ذلك ، فقال ما أجد أن يفعل هذا وأعجبه العمل به .

قال محمد بن رشد : الفضل في هذا بين لا يخفى قال تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ (١٤٩) . وقال : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١٥٠) وقال : ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١٥١) فإذا أعطى الرجل المساكين فضل الطعام كان له عند الله فضل .

### فيمن يمد من بسم الله الرحمن الرحيم ما لا يمدُّ

وسئل مالك عن مد بسم الله الرحمن الرحيم أترى به بأساً ؟ قال : لا بأس به وما الذي يسأل عن مثل هذا ؟ قال وسألته عن مد بسم الله الرحمن الرحيم قبل أن يجعل السين قال ما يعجبني .

قال محمد بن رشد : إذا لم ير بأساً في المد في الخط فيما بين السين والميم من بسم الله الرحمن الرحيم ، وأنكر السؤال عنه ، لأن الجواز فيه بين ، بل هو مستحب مستحسن لأن مد الخط في كتاب اسم الله تفخيمٌ له ، وتحسين فيه ، ومن الحق أن يفخم له عز وجل في الكتاب ، ويحسن غاية ما يقدر عليه ، على ما جرى به عمل الناس في القديم والحديث ، ولا يدمج ويخرج ، وأما المد فيما بين الباء والسين من اسم الله في الخط ،

(١٤٩) سورة الإنسان . الآية : ٨ .

(١٥٠) آل عمران ، الآية : ٩٢ .

(١٥١) سورة الحشر . الآية : ٩ .

فوجه الكراهة في ذلك ، أن الباء ليست من اسم الله ، وإنما دخلت عليه للإلحاق والإعلام بالبداة ، لأن المعنى في ذلك أستفتح كلامي وفعلي باسم الله ، فلا يحسن أن يفرق بينهما بالمد<sup>(١٥٢)</sup> كما يفعل بين الحرفين من الاسم ليحسن به إذ ليس من الاسم<sup>(١٥٣)</sup> وباللله التوفيق .

### في القران في الثمر

وسئل مالك عن القران في الثمر ، قال : لا خير في ذلك ، قال ابن القاسم : يعني أن يكون الانسان يأكل ثمرتين أو ثلاثاً في لقمة . قال مالك : خرج عمر بن الخطاب إلى أرض الحبشة في الجاهلية في جهد أصابهم ، فاستضاف قوماً من الحبشة فجاؤوه بجزيرة غير كبيرة ، وعلى رأسها شيء من سمن ، فطفق أحدهم يدور منها مثل النواة فيأكله ، قال عمر فخيرت نفسي بين أن آكل كما كنت آكل أو آكل كما يأكلون ، فرأيت أن آكل كما يأكلون ، فأكلت وذكر ذلك عند القران في الثمر قال ابن القاسم : يعني بخزيرة: عصيدة.

قال محمد بن رشد : قول ابن القاسم : إنه يأكل الإنسان ثمرتين أو ثلاثاً في لقمة تفسير صحيح لا اختلاف فيه وفي صحته ، وإنما قال مالك : لا خير في ذلك ، للنهي الوارد في ذلك عن النبي عليه السلام<sup>(١٥٤)</sup> . وقد اختلف في علة النهي عن ذلك فقليل انما نهى عنه لما فيه من سوء الأدب ، فعلى هذا لا يجوز لمن واكل قوماً يلزمه أن يتأدب في أكله

(١٥٢) في . ق . ١ . فلا يحسن أن يفرق في الخط بينها وبينه . وفي ق . ٣ . أن يفرق بينها وبينه .

(١٥٣) في نسختي ق . ١ . ق ٣ إذ ليست من الاسم فتحسن به .

(١٥٤) سيأتي قريباً نص الحديث الوارد في ذلك .

معهم ، أن يقرن دونهم ، وإنما يجوز ذلك له مع أهله وولده ، إذ لا يلزمه أن يتأدب في أكله معهم على ما مضى فوق هذا من أنه لا بأس إذا أكل معهم أن يتناول مما بين أيديهم ، وهو ظاهر قول مالك في هذه الرواية . وما فعله عمر بن الخطاب مع الذبن استضافهم في الخزيرة التي أتوه بها ، لأنهم لما أتوه بها ، فقد أذنوا له في الأكل منها على أي صفة شاء ، فرأى رضي الله عنه أن يترك عاداته في الأكل ، تأدباً معهم . وقيل : إنما نهى عن ذلك لثلاث استأثر في الأكل على من يواكله بأكثر من حقه ، فعلى هذا يجوز لمن أطعم قوماً وأكل معهم أن يقرن دونهم . وهو قول مالك في رسم الأقضية من سماع أشهب بعد هذا . وللشركاء في الطعام إذا كان مالكا لهم . وأطعموا إياه أن يقرن أحدهم إذا استأذن أصحابه في ذلك . وذلك مروى عن النبي عليه السلام من رواية ابن عمر . قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقرن الرجلُ بينَ الثمرتينِ حتى يستأذن أصحابه<sup>(١٥٥)</sup> وبالله التوفيق .

### في انتظار الإمام الناس للخطبة

#### بعد صعوده على المنبر

قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فجلس عليه وصمت حتى ذهب الأذان إلى العوالي فأذن الناس بجلوس عمر على المنبر قبل الخطبة حتى جاؤا ثم تكلم عمر رضي الله عنه [قال الإمام القاضي رضي الله عنه] : إنما جلس عمر على المنبر قبل الخطبة<sup>(١٥٦)</sup> ليعلم الناس أنه يريد أن يخطب عليهم فيجتمعوا لاستماع خطبته . وهذا أحسن من الفعل في الخطبة على الناس لأمر ينزل بهم ، لا في خطبة الجمعة ، لأنه إنما يجلس فيها على المنبر ما دام

(١٥٥) متفق عليه .

(١٥٦) حذف من الأصل من قوله : حتى جاء والى قوله : قبل الخطبة .

المؤذنون يؤذنون ، على ما أتت به السنة عن النبي عليه السلام .

### في صفة القصد المحمود

قال : وسمعت مالكا يذكر القصد وفضله ، قال وإياك من القصد ما تحب أن تُرفع به ، فقيل له : لم ؟ فقال : ما يعجب به ، ويعجب الناس .

قال محمد بن رشد : القصد الاقتصاد في الانفاق واللباس ، وفي معناه جاء الحديث : « مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ »<sup>(١٥٧)</sup> وكفي في بيان فضله ثناء الله تعالى على أهله بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾<sup>(١٥٨)</sup> وذكر مالك في الموطأ أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول : الْقَصْدُ وَالتَّوَدُّ وَحَسَنُ السَّمْتِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ<sup>(١٥٩)</sup> . وقد روي عن ابن عباس معناه مرفوعاً الى النبي عليه السلام . وَيُكْرَهُ مِنَ الْقَصْدِ كَمَا قَالَ : مَا يُعْجَبُ بِهِ فَاعِلُهُ فَيُعْجَبُ النَّاسُ ، وَيَذْكُرُونَهُ بِهِ ، وَيُشَارُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهِ وَقَدْ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَفَى بِالْمَرْءِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ ، إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ »<sup>(١٦٠)</sup> وروي عن رجل من الأنصار أنه قال : ما استوى رجلان صالحان ، أحدهما يشار إليه ، والآخر لا يشار إليه لأن الرجل

(١٥٧) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود .

(١٥٨) سورة الفرقان . الآية : ٦٧ .

(١٥٩) رواه في الموطأ في : « ما جاء في المتحابين في الله » .

(١٦٠) ورد في كشف الخفا للعجلوني ما يأتي : قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس ، أسنده الديلمي عن ابن عمرو عن أنس ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين بلفظ آخر واقتصر العجلوني على ذكر صدر الحديث فقط .

إذا أثنى بالخير عليه وأشير به إليه ، لا يخلص من أن يعجبه ذلك ، ويُسرَّ به ، ولا ينبغي للرجل أن يسر إلا بما يرجوه من الثواب عند الله في الدار الأخرى لا بثناء الناس عليه في الدنيا . وبالله التوفيق .

### في أن القاضي لا يقضي وهو جائع ولا وهو شبعان جداً

قال مالك : إنه يقال لا يقضي القاضي وهو جائع من غير أن يشبع جداً ، لأن الغضب يحضر الجائع ، والشبعان جداً يكون بطيئاً .

قال محمد بن رشد : هذا بين على ما قاله ، لأن القاضي لا ينبغي له أن يقضي إلا وهو فارغ البال عما يشغله ، ليفهم<sup>(١٦١)</sup> ما يقضي به ، كما لا ينبغي له أن يصلي إلا وهو فارغ البال عما يشغله في صلاته . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الاِخْتِثَانِ : الْغَائِطُ وَالْبَوْلُ »<sup>(١٦٢)</sup> . وبالله التوفيق .

### في أحكام<sup>(١٦٣)</sup> ما أحله الله ونهى عنه وعفا عنه

قال مالك يقال : أمر أحله الله فاتبعوه ونهى نها الله عنه فاجتنبوه وعفو عفا الله عنه فدعوه . قال مالك فيه : « عَفَا اللَّهُ عَنْهَا

(١٦١) في ق ١ عن تفهم .

(١٦٢) حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود عن عائشة . هكذا : « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَّعَامٍ ، وَلَا وَهُوَ » الخ .

(١٦٣) في ق ١ . وق ٣ . في حكم .

وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (١٦٤) قال ابن القاسم وشذ قوله في هذه الحكاية : أمر أحله الله فاتبعوه ، معناه : أمر أحله الله فأحلوه ، لأن ما أحله الله فهو حلال ، يجوز أكله ، ولا يجب وقوله فيها : عفو عفا الله عنه فدعوه ، يدل بحمله على ظاهره ، أن المسكوت عنه محظور لا يباح أكله ، وإلى هذا ذهب مالك في رسم البز من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان ، لأنه قال فيه في المد الذي يأكله الناس أنه ينبغي للإمام أن ينهى الناس عما يضر بهم في دينهم ودنياهم ، واحتج للمنع من جواز أكله بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ، قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ أما الطين من الطيبات ولم يحمله مالك في هذه الرواية على ظاهره ، بل رأى المعنى في قوله : فدعوه اختياراً لا إيجاباً بدليل قوله فيها قد رفع الله فيه الحرج عنهم بعفوه عنه لئلا يحرم عليهم إن سألوه عنه فيسوؤهم ذلك فقول مالك في هذه الرواية : إن المسكوت عنه مباح وإلى هذا ذهب أبو الفرج . ووجه القول الأول من طريق النظر ، أنه قد ثبت أن الأشياء ملكُ مالك ، والأصل لا يستباح ملكُ أحدٍ إلا بإذنه ، ووجه الثاني وأن خلق الله تعالى له دليل على الإباحة إذ لا يجوز أن يخلقه عبثاً لغير وجه منفعة .

### في امتيار القمح من

بلد الى بلد

قال مالك : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز على

(١٦٤) سورة المائدة . الآية : ١ . ١ . وأول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن

أَيْلَةَ (١٦٥) كتب إليه إن قومي يمتارون القمح منها يمتارونه إلى غيرها وإنه بلغني أن أمير المؤمنين منع طعاماً أن ينقل فكتب إليه عمر ما ظننت أن أحداً أبه لهذا وإن الله تعالى أحل البيع وحرم الربا (١٦٦) فخل بين الناس وبين البيع والابتياغ قال مالك : كان من العيب الذي يُعاب به من مضى ويروونه ظلماً عظيماً منع التجر .

قال محمد بن رشد : المعنى عندي والله أعلم فيما كتب به عامل أيلة إلى عمر بن عبد العزيز أن الناس كانوا يمتارون القمح من أيلة إلى غيرها ليبيعوه بها فهم أن يمنعمهم من ذلك لما بلغه أنه منع طعاماً أن ينقل وإنما كان منع والله أعلم من نقله للاحتكار ، فكتب إليه ما ظننت أن أحداً أبه لهذا ، أي ما ظننت أن أحداً هم بالمنع من مثل هذا فلا تمنع منه ، وخل بين الناس وبينه ، فإن الله قد أحل البيع وحرم الربا فنقل الطعام من بلد إلى بلد للبيع جائز ، وإن أضر ذلك بسعر البلد الذي ينقل منه كان بأن تعليه الأسعار بالبلد الذي ينقل منه ترخيصاً في البلد الذي ينقل إليه . والمسلمون في جميع البلد أسوة ، ليس بعضهم أحق بالرفق من بعض . وأما نقل الطعام من بلد إلى بلد للاحتكار ، ففيه خلاف وتفصيل قد مضى القول فيه في رسم يسلم من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان ، فلا معنى لإعادته هنا ، وقول مالك : كان من العيب الذي يعاب به من مضى ويروونه ظلماً عظيماً منع التجر، معناه شراء الطعام للحكرة ، لأن الحكرة قد أتت آثار في التشديد فيها فحملها بعض من مضى على عمومها في جميع الطعام ، وفي كل الأزمان ، ولم ير ذلك مالك .

(١٦٥) ذكر ياقوت في معجم البلدان أنها مدينة على ساحل بحر القلزم « البحر الأحمر »

مما يلي الشام وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام .

(١٦٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ الآية : ٢٧٥ من سورة

البقرة .

وقد مضى تحصيل القول فيما يجوز من الاحتكار مما لا يجوز منه في رسم البيوع الأول من سماع أشهب من كتاب جامع البيوع فأغنى ذلك عن إعادته . . .

### في التسليم لأمر الله والرضى بقدره

وسمعت مالكا يذكر أن القاسم بن محمد وقف بعرفة ومعه عمر بن الحسين فافتقد عبد الرحمن فقال القاسم : يا عمر التمس أخاك فالتمسه فلم يجده ، فقال القاسم قضاء الله خير للمؤمنين .

قال محمد بن رشد : في هذا الرضى بقضاء الله والتسليم له ، والإيمان بالقدر خيره وشره من عقود الإيمان فقال عز وجل : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١٦٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ » (١٦٨) فالتكذيب به كفر وضلال وقد مضى القول في هذا في رسم البز من سماع ابن القاسم من كتاب المحارس والمرتدين فلا وجه لإعادته .

### في لباس الرجل الثوب المصبوغ

قال مالك : رأيت ابن المنكدر يلبس الثوبين المصبوغين

(١٦٧) سورة القمر . الآية : ٤٩ .

(١٦٨) رواه مالك في الموطأ . في باب : « النهي عن القول بالقدر » ومسلم في كتاب : القدر . ونص رواية الموطأ : قال طاوس : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل شيء بقدر الخ ، والمراد بالعجز ، اما عدم القدرة ، أو ترك ما يجب فعله . والتسوية فيه حتى يخرج وقته ، قال الباجي : ولعله أراد بذلك العجز عن الطاعة ، والكيس ضد العجز ، وهو النشاط في تحصيل المطلوب .

الموردين المتينين بالزعفران ، ولقد رأيت في رأسه الغالية ورأيت ابن هرمز يلبس الثوبين بالزعفران ورأيت عامر بن عبد الله ، وربيعه بن عبد الرحمن وهشام بن عروة يفرقون شعورهم ، وكانت لهم شعور ، وكانت لهشام جمعة إلى كتفيه . قال مالك : إن كان ابن عمر ليتبع أمر النبي عليه السلام حتى إن كان يخاف على عقله .

قال محمد بن رشد : اختلف السلف الماضي في لباس المزعفر والمعصفر من الثياب ، لما روي من أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَزَعَفَرَ الرَّجُلُ . وأنه نَهَى عَنِ الْمُعْصَفْرِ ، ولما جاء عن عبد الله بن عمر وقال رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ ثُوبٌ مُعْصَفَرٌ ، فَقَالَ : أَلْقِهَا فَإِنَّهَا ثِيَابُ الْكُفَّارِ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَنَّهُ قَالَ : نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَقُولُ نَهَاكُمْ عَنْ لِبَاسِ الْمُعْصَفْرِ ولم ير أكثرهم في ذلك بأساً . منهم عبد الله بن عمر والبراء بن عازب وطلحة بن عبيد الله ومحمد بن علي وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وأبو وائل شقيق ابن سلمة ورزين بن حبيش وعلي بن حسين ونافع بن جبير بن مطعم وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم وقال مالك في الموطأ في الملاحق المعصفرة في البيوت للرجل وفي الألفية ، لا أعلم من ذلك شيئاً حراماً وغير ذلك من اللباس أحب إلي . وما حكاها مالك عن عامر بن عبيد الله وربيعه وهشام من أنهم كانت لهم شعور ، هو المستحسن عند عامة العلماء ، لما في ذلك من الاقتداء بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم : أنه كان يَسْدُلُ شَعْرَهُ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤُوسَهُمْ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ فَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ . وروي أن شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ دُونَ الْجُمَّةِ وَفَوْقَ الْوُفْرَةِ ، وروي عن أنس أنه : قِيلَ لَهُ :

كَيْفَ كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : كَانَ شَعْرًا رَجِيلاً  
لَيْسَ بِالْجَعْدِ وَلَا بِالسَّبِطِ ، بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ ، وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ :  
كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ . وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ  
أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شَعْرُهُ إِلَى شَحْمَةِ  
أُذُنَيْهِ . وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ إِحْفَا الشَّعْرِ أَحْسَنُ مِنْ اتِّخَاذِهِ لِمَا  
رَوَى عَنْ وائِلِ بْنِ حَجْرٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِي شَعْرٌ طَوِيلٌ  
فَقَالَ : ذَبَابٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي فَذَهَبْتُ فَحَزَزْتَهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فَقَالَ : مَا عَيْتُكَ ، وَلَكِنْ هَذَا أَحْسَنُ (١٦٩) قَالَ : وَمَا جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ كَانَ لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْهُ . وَمَعْقُولٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَارَ بَعْضُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى هَذَا الْأَحْسَنِ وَتَرَكَ مَا  
كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ هُوَ أَوْلَى بِالْمَحَاسِنِ كُلِّهَا مِنْ دُونَ النَّاسِ ، وَلَيْسَ  
حَدِيثُ وائِلِ بْنِ حَجْرٍ فِي هَذِهِ بَحْجَةٌ بَيْنَهُ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ شَعْرُهُ قَدْ طَالَ  
طَوِيلاً كَثِيراً خَرَجَ بِهِ عَنِ الْحَدِّ الْمُسْتَحْسَنِ ، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ وَقَدْ حَزَّهُ : « هَذَا أَحْسَنُ » وَلَعَلَّهُ لَمْ يَحْزِهِ كُلَّهُ وَأَبْقَى مِنْهُ  
لِمَةً أَوْ وَفْرَةً ، وَمِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ كَانَتْ لَهُ لِمَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَفْرَةٌ ،  
وَمِنْهُمْ مَنْ حَلَقَ ، فَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ وَاسِعٌ ، وَمَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْآثَارُ مِنْ أَنَّ  
الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُ شَعْرٌ طَوِيلٌ أَحْسَنَ ، فَفِيهِ الْأَسْوَةُ  
الْحَسَنَةُ ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ مَا حَكَاهُ عَنْهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَتَّبِعُ أَمْرَ النَّبِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى إِنْ كَانَ لِيَخَافُ عَلَى عَقْلِهِ وَقَدْ رُئِيَ يَدُورُ بِنَاقَتِهِ فِي مَوْضِعٍ  
رَأَى نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَارَتْ بِهِ فِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ فِي  
ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَحْبَبْتُ أَنْ تَطَأَ نَاقَتِي الْمَوْضِعَ الَّتِي وَطَّئَهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١٦٩) الأحاديث التي ذكرها المؤلف في وصف شعره صلى الله عليه وسلم . المذكورة في  
الصحيحين وفي كتاب الشمايل للترمذي .

## في تفسير قول الله ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

وسئل مالك عن قول الله : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (١٧٠) ما تفسيره ؟ أن يدعى قبل أن يشهد ، أو يكون قد أشهد ، فقال : إنما ذلك بعد ما أشهدوا وأما قبل أن يشهدوا فأرجو أن يكون في سعة ، إذا كان ثم من يشهد ، وليس كل أمر يجب على الرجل أن يشهد عليه من الأمور أمور لا يجب على الرجل أن يشهد فيها .

قال محمد بن رشد : قول مالك : قول الله عز وجل : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ . معناه إذا دعي لأداء الشهادة بعد ما أشهد ، وأما إذا دعي ليشهد فهو في سعة إذا كان ثم من يشهد ، صحيح ، ومن أهل العلم من ذهب إلى أنه واجب على كل من دعي إلى الشهادة أن يجيب دعي إلى أن يستحفظ الشهادة أو يؤدي ما حفظ ، لقول الله تعالى : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ وليس ذلك بصحيح ، لأن الشاهد لا يصح أن يسمى شاهداً إلا بعد أن يكون عنده علم بالشهادة ، وأما قبل أن يعلم فليس بشاهد ، ولا يدخل تحت قوله : (١٧١) ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (١٧٢) إلا من هو شاهد . وهذه المسألة قد مضى القول عليها في أول نوازل سحنون من كتاب الشهادات وتمامه في رسم شهد على شهادة ميت من سماع عيسى منه . وقوله : وليس كل أمر يجب للرجل أن يشهد عليه صحيح ، لأن من دعي أن يشهد على أمر مكروه فيكره له أن يشهد عليه فقد

(١٧٠) سورة البقرة . الآية : ٢٨٢ .

(١٧١) في ق ١ تبارك وتعالى .

(١٧٢) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة كرر هذا المرجع سهواً .

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي النعمان بن بشير بن سعد : إذ أشهده على أنه نحل ابنه النعمان غلاماً له ، لَمَّا أخبره بأنه خصُّ ابنه بنحلة الغلام ، دون سائر ولده : « أَشْهَدُ غَيْرِي فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » (١٧٣) ومن دعي الى أن يشهد على حرام فلا يحل له أن يشهد عليه ، ومن دعي إلى أن يشهد على أمر جائز أو مستحب ، أو واجب ، فالاجابة عليه فرض من فروض الكفاية وباللله التوفيق .

### في تقوى الله

قال : وسمعت مالكاً يذكر أن رجلاً أمر رجلاً بتقوى الله ثم قال له : إنما هو لحمك ودمك .

قال محمد بن رشد : هذابين لا اشكال فيه لأنه إن اتقى الله سلم من عذاب الله وإن لم يتقه خاف على نفسه وبدنه في الآخرة عقاب الله وباللله التوفيق .

فيما كان عليه أصحاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم (١٧٤)

قال مالك : بلغني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينزعون الدلاء في سقي النخل على ثمرة ثمرة كل دلو .

قال محمد بن رشد : في هذا بيان ما كان عليه أصحاب رسول

(١٧٣) رواية الخمسة عن النعمان بن بشير . وفي رواية : فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي . وفي أخرى : فَأَرْجِعُهُ ، وفي أخرى : فَرَدَّهُ فَرَجَعَ فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . وموضوع الحديث : تفضيل بعض الأولاد على بعض في النحلة .

(١٧٤) في نسختي ق ١ و ٣ زيادة : من إجارة انفسهم لتقللهم من الدنيا .

الله صلى الله عليه وسلم من التقليل من الدنيا وامتهانهم فيها بإجارة أنفسهم للخدمة والعمل ، فذلك جائز لا عيب فيه ، ولا غضاضة على من فعله فقد قالت ابنة شعيب لأبيها في موسى عليه السلام : « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ » (١٧٥) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى غَنَمًا . قِيلَ لَهُ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ وَأَنَا » (١٧٦) واستئجار الرجل الرجل على سقي النخل كلُّ دلو بدرهم إذا لم يواجبه على عدد معلوم ، يشبه كراء الدار مشاهرة ، له أن يترك متى شاء ، ولرب النخل أن يمنعه من التماذي على السقي إذا شاء ما لم ينقده ، فإن نقده عدداً من الثمر لزمهما جميعاً بمنزلة إذا واجبه على عدد معلوم . وبالله التوفيق .

### في الاغلاظ على أهل الجور من الأمراء بالقول

وذكر مالك : أن الحجاج قال لعبد الله بن عبد الله بن عمر في كلام قاله له عبد الله بن عمر الا يكون ضرب عنقه ، فقال له عبد الله : إذا لسقرك الله به في جهنم على رأسك .

قال محمد بن رشد : قول عبد الله بن عمر للحجاج فيما كان هم به من قتل عبد الله بن عمر إذا لسقرك الله به في جهنم على رأسك ، يدل على ما هو معلوم من مذهب عبد الله بن عمر أن القاتل لا توبة له وأن الوعيد لا حق به ، لأنه أخبر أنه لو فعل لسقره الله به في جهنم على رأسه ، ولم يستتن توبةً ولا غيرها . وقد روي أنه سُئل عن القاتل عمداً هل له من توبة ؟

(١٧٥) سورة القصص . الآية : ٢٦ .

(١٧٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة : باب مَنْ رَعَى الغنم عن أبي هريرة هكذا : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغنم ، فَقَالَ أصحابُهُ : وَأَنْتَ ، قَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » .

قال ليستكثر من شرب الماء البارد ، يريد أنه لا توبة له ، وهو مذهب ابن عباس ، وأبي هريرة وزيد بن ثابت . روي أن سائلاً سأل ابن عمر وابن عباس وأبا هريرة عن قتل مؤمناً متعمداً أهل له من توبة ؟ فكلهم قال : هل يستطيع أن يحييه ؟ هل يستطيع أن يتغي نَفَقاً في الأرض أو سُلماً في السَّمَاءِ ؟ والى هذا ذهب مالك رحمه الله ، لأنه روي عنه أن إمامة القاتل لا تجوز وإن تاب ، ويؤيد هذا المذهب ، ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ كَافِرًا أَوْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » (١٧٧) وذلك والله أعلم لأن القتل يجتمع فيه حق لله تعالى وحق للمقتول المظلوم . ومن شروط صحة التوبة من مظالم العباد تحللهم أورد التباعات عليهم . وهذا ما لا سبيل للقاتل اليه إلا بإذن يدرك المقتول قبل موته ، فيغفو عنه ويحلله من قتله إياه طيبةً بذلك نفسه . وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى أن القاتل في المشيئة توبته مقبولة فممن رُوي ذلك عنه : ابن عباس ، وأبو هريرة ، وعلي بن أبي طالب ومجاهد وغيرهم ولكلي القولين وجه من النظر باختلاف (١٧٨) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فقل ما تجدهم يختلفون ، إلا فيما تتعارض فيه الحجج وتتكافأ فيه الأدلة ، فينبغي لمن لم يواقع هذا الذنب العظيم ، أن ينتهي عنه ويستعيذ بالله منه مخافة ألا يصح له منه متاب ، فيحق عليه سوء العذاب ويناله شديد العقاب . ولمن أوقعه أن يتوب الى الله ويستغفره ، ولا ييأس من رحمة الله ، ﴿ فَإِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١٧٩) . وكان ابن شهاب إذا سئل هل للقاتل توبة يتعرف منه

(١٧٧) حديث صحيح رواه أبو داود عن أبي الدرداء وأحمد في مسنده والنسائي والحاكم عن معاوية بلفظ « عسى الله أن يغفره » كما في الجامع الصغير .

(١٧٨) في ق. ١ وكفى اختلاف .

(١٧٩) سورة يوسف . الآية : ١٨٧ وأول الآية : ﴿ يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ .

هل قتل أم لا؟ ويطاوله في ذلك ، فإن تبين له منه أنه لم يقتل ، قال : لا توبة له وإن تبين له منه أنه قتل ، قال : له توبة ، وهو من حسن الفتوى ومن توبة القاتل أن يعرض نفسه على أولياء المقتول فإن أقادوا منه وإلا بذل لهم الدية ، وصام شهرين متتابعين ، أو أعتق رقبة إن كان واحداً أو أكثر من الاستغفار ، ويستحب له أن يلازم الجهاد ، ويبذل نفسه لله ، وهذا كله مروى عن مالك ، وفيه دليل على الرجاء عنده في قبول التوبة . واختلف أيضاً في القاتل إذا أُقيد منه هل يكون القصاص كفارة أم لا ؟ على قولين وقد مضى في كتاب المقدمات القول في أحكام القاتل في الآخرة وفي الدار الدنيا مستوفى وبالله التوفيق .

### في أن الحاكم لا يلزمه القعود للحكم إلا في ساعات من النهار

قال مالك : سألتني صاحب السوق في شغله بأمر الناس وقضائه بينهم ، فكأنه رآه من أشغال أهل المدينة بعمله فقال : إني ما أكاد أن أفرغ ، قال مالك : ما ذلك عليك ، أقعد للناس في ساعات من النهار ، وإني أخاف عليك أن تكثر فتخطيء ولم ير ذلك عليه أن يتعب نفسه للناس نهاره إلا ساعة واحدة .

قال محمد بن رشد : هذا كما قال ، وهو ممّا لا اختلاف فيه ، إذ لا يلزمه الحمل على نفسه بموالات الجلوس ، وربما كان ذلك سبباً إلى أن يكل ذهنه فيخطيء في حكمه ، فالحسن أن يجم نفسه في ساعات من النهار ، فإن ذلك ممّا يعينه على ما هو بسبيله ، وله أن يخرج إلى ضيعته يستريح بذلك المرة بعد المرة ، ويقوم فيها اليوم واليومين على ما قاله ابن القاسم في رسم الجامع من سماع أصبغ من كتاب تضمين الصناعات وبالله التوفيق .

### في التحليل من المظالم

وسئل مالك عن قول ابن المسيب في فعله : إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ :  
 لَا أَحِلُّ أَحَدًا فَقَالَ : ذَلِكَ يَخْتَلِفُ ، فَقُلْتُ : يَسْلَفُ الرَّجُلُ  
 الذَّهَبَ فِيهِلِكَ ، وَلَا وِفَاءَ لَهُ . قَالَ : أَرَى أَنْ يَحِلُّهُ ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ  
 عِنْدِي فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ  
 أَحْسَنَهُ﴾ (١٨٠) وليس كل ما قال أحد وإن كان له فضل يتبع على ما  
 قال . قيل له : فالرجل يظلم الرجل ، قال : لا أرى ذلك ، هو  
 مخالف عندي للأول ، يقول الله : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ  
 يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ (١٨١) ويقول : ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ  
 سَبِيلٍ﴾ (١٨٢) فلا أرى أن يجعل في حل من ظلم .

قال محمد بن رشد : اختلف في التحليل من التباعات والظلمات  
 على ثلاثة أقوال : أحدها إن ترك التحليل منها أولى وهو مذهب سعيد بن  
 المسيب هذا . والثاني إن التحليل منها أفضل . والثالث تفرقة مالك بين  
 التباعات والظلمات ، فوجه القول الأول أن التباعات والظلمات يستوفيها  
 صاحبها يوم القيامة من حسنات من وجبت له عليه ، على ما جاء من أن  
 الناس يقتصُّ بعضهم لبعض يوم القيامة بالحسنات والسيئات وهو في ذلك  
 الوقت مفتقر إلى زيادة حسناته ، ونقصان سيئاته ، بما له من التباعات  
 والظلمات (١٨٣) التي حُلَّ منها ، وهو لا يدري هل يوازي أجره في التحليل

(١٨٠) سورة الزمر . الآية : ١٨ .

(١٨١) الآية : ٤٢ من سورة الشورى .

(١٨٢) الآية : ٩١ من سورة التوبة .

(١٨٣) من جملة ما ورد في ذلك ، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ : مِنْ عَرِيضِهِ ، أَوْ مِنْ  
 شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ : إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ =

ما يجب له من الحسنات في الظلمات والتباعات ، ويزيد عليها أو ينقص منها ، فكان الحظ ألا يحلل منها . ووجه القول الثاني أن التحلل إحسان للمحلل عظيم ، وفضل يسديه إليه جسيم ، ينبغي عليه المكافأة من الله عز وجل ، وهو تعالى أكرم من أن يكافئه بأقل مما وهب ، فإنه عز وجل يقول : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ (١٨٤) فهذا القول أظهر والله أعلم . ووجه تفرقة مالك في هذا بين الظلمات والتباعات ما استدلل به قوله : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (١٨٥) فرأى ترك تحليل المظالم للظالم عقاباً له ، هو عليه محمود ، لما في ذلك من الإحافة له ، والردع بذلك عن أن يعود إلى مثله ، وأما في الدنيا فالعفو والصفح عن الظالم أولى من الانتصار منه بأخذ الحق منه في بدنه أو ما له لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١٨٦) وقوله : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٨٧) وقوله : ﴿وَلَمْ يَنْصَبِرْ وَعَفَّرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٨) ولا يعارض هذا قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (١٨٩) لأن المدحة من الله تعالى ، ون كانت متوجهة بهذه الآية لمن انتصر من بغي عليه بالحق الواجب ، ولم يتعد في انتصاره منه وكان مثاباً على ذلك ، لما فيه من الردع والزجر ، فهو في العفو والصفح أعظم ثواباً بدليل قوله بعد ذلك : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ . وقيل

أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ .

(١٨٤) سورة التغابن . الآية : ١٧ .

(١٨٥) الشورى . الآية : ٤٢ .

(١٨٦) الآية : ٤١ من المصدر قبله .

(١٨٧) آل عمران . الآية : ١٣٤ .

(١٨٨) الشورى . الآية : ٤٣ .

(١٨٩) الآية : ٣٩ من المصدر قبله .

إِنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْبَاغِي الْمَشْرِكِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الآيَةِ فِي الْإِنْتِصَارِ مِمَّا فِيهِ حَدُّ لَه ، لَا يَجُوزُ الْعَفْوُ عَنْهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### في أمر الرجل بالمعروف من يعلم أنه لا يطيعه

وسئل مالك عن الرجل يأمر الرجل بالمعروف ، وهو يعلم أنه لا يطيعه ، وهو ممن لا يخاف ، مثل الجار والأخ ، قال لا أرى به بأساً ، ولا يشبه ذلك إذا رفق به ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبِّمَا نَفَعُ بِذَلِكَ . يقول الله : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١٩٠) . قال مالك : بلغني أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع بالشام ، وأنه انهمر في الخمر فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : ﴿حَمِّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ إلى قوله : ﴿الْمَصِيرُ﴾ (١٩١) قال فترك ذلك الرجل الخمر فتاب ونزع عنها .

قال محمد بن رشد : قوله لا أرى به بأساً ، معناه : جائز له أن يفعل . وإن ظن أنه لا يطيعه ، إذ لعله سيطيعه فينفع الله بذلك ، لاسيما إذا رفق به ، إذ لا يشبه الرفق في ذلك ترك الرفق فيما يرجوه من أن ينتفع بقوله . واستدل على استحباب الرفق في ذلك بقول عمر ، مع الذي بلغه عنه أنه انهمر في الخمر من أصحاب النبي عليه السلام ، إذ وعظه بما كتب له من كتاب الله ، ولم يُغلظ عليه بالقول وفي قوله : لا بأس أن يأمره بالمعروف وإن علم أنه لا يطيعه نص منه على أنه لا يلزمه ذلك ، وهو صحيح لأن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة شرائط : شرطان

(١٩٠) سورة طه . الآية : ٤٤ .

(١٩١) سورة غافر . الآيات : ١ - ٢ - ٣ .

في الجواز ، أحدهما أن يكون ممن يعرف المعروف من المنكر ، إذ لا يأمن إذا كان جاهلاً بذلك أن يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف . والثاني أن يأمن ، أن يغلب على ظنه أن نهيه عما نهى عنه من المنكر ، لا يؤدي إلى منكر أعظم منه ، مثل أن ينهى عن شرب الخمر ، فيؤدي إلى قتل نفس ، وشرط ثالث في الوجوب بعد حصول شرطي الجواز ، وهو أن يعلم أو يغلب على ظنه أن أمره بالمعروف مؤثر في فعله ، وداع إليه ، وأن نهيه عن المنكر مُزِيلٌ له أو لبعضه ، فإذا علم ذلك أو غلب على ظنه ، وجب عليه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإن لم يعلم ذلك ولا غلب على ظنه ، لم يجب ذلك عليه ، وكان في سعة من تركه . وهذا هو معنى قول مالك في هذه الرواية : لا أرى به بأساً حسبما بيناه . وقد مضى في رسم الأقضية الثالث من سماع أشهب من كتاب السلطان تمام القول مستوفى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبالله التوفيق .

### في تقبيل العبد أو المولى ليد

#### مولاه أو سيده

وسئل مالك عن الرجل يقدم من السفر فيتناول غلامه ومولاه ، يده فيقبلها . قال : ترك ذلك أحب إليّ ، وذكر له حديث سالم شيخ يقبل شيخاً فأنكره إنكاراً شديداً ، قال : فإياكم مثل هذه الأحاديث أن تهلكوا فيها .

قال محمد بن رشد : إنما كره مالك أن يقبل يد الرجل مولاه أو غلامه في سلامه عليه عند قدومه من سفر أو شبهه ، وإن كان له عليه حق صار به دونه في الكفاءة والمرتبة والحرمة ، فقال : ترك ذلك أحب إليّ ، من أجل أنه قد يكون أكرم منه عند الله إن كان أتقى منه لله بنص قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١٩٢) إذ قد جمعته وإياه حرمة الإسلام ،

فصار بذلك ولياً له ، وأخاً فيه . قال عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١٩٣) وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٩٤) . والنبي عليه السلام كان أحق أن تكون التحية له بتقبيل يديه ، إذ هو سيد الخلق أجمعين ، ورسول رب العالمين ، الشافع يوم القيامة في المُذنبين ، لو كان ذلك ممّا يُستحق في الشرع ، فإذا لم تكن التحية له إلا بما شرعه الله من السلام ، وجب أن يستوي في ذلك الفاضل والمفضول ، والعبد وسيده ، والمولى ومولاه ، وإنما ينبغي أن يفعل ذلك المولى بمولاه ، والعبد بسيده ، فلا ينهأه إذا لم يكن مسلماً . فقد روي عن صفوان بن عسال المرادي (١٩٥) قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل نبي ، إنه لو سمعه كان له أربعة أعين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم : لا تُشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بيريء إلى السلطان ليقتله ، ولا تسحرُوا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا مُحَصَّنَةً ولا تولوا الفرار يوم الزحفِ وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا يوم السبت . فقاموا فقبلوا يده . وفي بعض الأحاديث فقبلوا يديه ورجليه ، فقَالَ : نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ أَتَبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودَ . قال الترمذي وهو حديث حسن صحيح . وأما حديث سالم الذي أنكره إذ ذكر له ، فهو ما روي أن عبد الله بن عمر كان إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، قَبَّلَ سَالِمًا وَقَالَ : شَيْخٌ يُقْبَلُ شَيْخًا . وإنما ذكر له والله أعلم ، لما جرى من ذلك القبلة ، لا على سبيل الحجّة في جواز تقبيل العبد والمولى يد سيدة أو مولاه لافتراق المعنى في ذلك ، لأن تقبيل العبد أو المولى يد سيدة أو مولاه على سبيل التعظيم ،

(١٩٣) سورة التوبة . الآية : ٧٢ . (١٩٤) الآية : ١٠ من سورة الحجرات .

(١٩٥) ذكر ابن حجر في الإصابة أن له صحبة . وفي مجمع الزوائد للهيتمي : عن زُر بن

حبيش قال : لقيت صفوان بن عسال المرادي فقلت له : هل رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وغزوت معه اثنتي عشرة غزوة .

وتقبيل الرجل لابنه الكبير وما أشبهه من ذوات المحارم من النساء ، على سبيل المحبة والمودة والحنان والرحمة ، كتقبيل الطفل الصغير ، فذلك بخلاف تقبيل الرجل يد سيده ومولاه ، وإنما أراد عبد الله بن عمر بقوله : شيخ يقبل شيخاً بالإعلام بأن ذلك جائز على هذا الوجه ، لا على وجه مكروه وقد جاء ذلك عن النبي عليه السلام . روي عن عائشة من رواية محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عنها قالت : قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي فَأَنَاهُ فَفَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُريَانًا يَجْرُ ثَوْبُهُ وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُهُ عُريَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، فَأَعْتَقَهُ وَقَبَّلَهُ . وَقَالَ فِيهِ الترمذي إِنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . لا نعرفه من حديث الزهري من غير هذا الوجه . وجاء أيضاً عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اعْتَقَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ<sup>(١٩٦)</sup> فيجب أن يُتَأَوَّلَ ما روي عنه صَلَّى الله عليه وسلم من تقبيله لزيد بن حارثة ، وما روي عن عبد الله بن عمر من تقبيله لابنه سالم ، أنها إنما كانت فيما بين العينين أو الرأس ، أو الخدين ، لا في الفم ولما كان الأظهر في القبلة إذا أطلقت أنها في الفم ، أنكر مالك حديث سالم في تقبيل عبد الله بن عمر إياه ، وقوله : شيخ يقبل شيخاً ، وقال : إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكُوا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، فَهِيَ أَنْ يُتَحَدَّثَ بِهَا ، تحذيراً منه أن يحملها الجاهل على ظاهرها فيستبيح بها أن يقبل الرجل وليه أو قريبه أو صديقه أو ولده الكبير ، في فمه ، فيترافق ذلك في الناس إلى ما لا يصلح ، وهذا من نحو ما مضى في رسم جاع فباع امرأته من سماع عيسى من كتاب المحاربين والمرتدين ، لا يروي لنا أحد هذه الأحاديث ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ أَوْ نَحْوِ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَعْظَمُ أَنْ يُتَحَدَّثَ بِهَا أَحَدٌ أَوْ يَرُويهَا لِمَا يَخْشَى مِنْ أَنْ يَحْمِلَهَا الْجَاهِلُ عَلَى ظَاهَرِهَا مِنْ تَشْبِيهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ

(١٩٦) رواه الطبراني في الثلاثة . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفي رجال الكبير انس

ابن مسلم ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

فيهلك بذلك ، ومالك يكره للرجال المعانقة والقبلة فيما بين العيين ، ويرى ما جاء عن النبي عليه السلام في ذلك خاصاً له . روي عن علي بن يونس المدني قال : كنت جالساً عند مالك ، فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن ، فقال مالك : رجل صاحب سنة ، أدخلوه ، فدخل فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال مالك وعليكم السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته ، فصافحه مالك وقال : يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك ، فقال سفيان بن عيينة عانق خيراً منك ومنا النبي عليه السلام . قال مالك : جعفر ، قال : نعم قال : ذلك حديث خاص يا أبا محمد ، ليس بعام . قال سفيان : ما يعم جعفر يعمننا إذا كنا صالحين ، وما يخصه يخصنا ، أفأذن لي أن أحدث في مجلسك ؟ قال : نعم يا أبا محمد . قال حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس قال : لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْحَبَشَةِ ، اعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : «جَعْفَرُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خُلُقًا وَخُلُقًا يَا جَعْفَرُ مَا أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟» قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : بَيْنَا أَنَا وَأُمِّي إِذَا سَوَدَاءَ عَلَى رَأْسِهَا مِثْلُ فِيهِ بُرٌّ فَصَدَمَهَا رَجُلٌ عَلَى دَائِبَتِهِ فَوَقَعَ مِثْلُهَا وَانْتَشَرَ بُرُّهَا فَأَقْبَلْتُ لِتَجْمَعَهُ مِنَ التُّرَابِ وَهِيَ تَقُولُ : وَيْلٌ لِلظَّالِمِ مِنْ دِيَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيْلٌ لِلظَّالِمِ مِنَ الْمَظْلُومِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيْلٌ لِلظَّالِمِ إِذَا وُضِعَ الْكُرْسِيُّ لِلْفُضْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لَا يَقْدَسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا مِنْ قُوَّيْهَا حَقَّهُ غَيْرَ مَتَمِّعٍ» (١٩٧) . ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ : قَدِمْتُ لِأَصْلِي فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُبَشِّرُكَ بِرُؤْيَا رَأَيْتَهَا ثُمَّ قَالَ مَالِكُ : قَامَتْ بِشَارُتِكَ خَيْرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ سُفْيَانُ : رَأَيْتُ كَأَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْشَقَّ فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَهْرَعُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرُدُّ بِأَحْسَنِ رَدِّ قَالَ

(١٩٧) خرج الغساني في معجمه ، كما ذكره المحب الطبري في كتاب « ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى » لكن بالفاظ أخرى تقرب من هذه ، وقال في الحديث بدل رواية المؤلف : « لَا قَدْسَ لِلَّهِ أُمَّةً لَا تَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ » .

سُفْيَانُ : فَأْتِي بِكَ وَاللَّهِ أَعْرَفُكَ فِي مَنْأَمِي كَمَا أَعْرَفُكَ فِي يَفْظَتِي ، فَسَلَّمْتَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، ثُمَّ رَمَى فِي حَجْرِكَ بِخَاتَمٍ ، ثُمَّ نَزَعَهُ مِنْ أَصْبُعِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَعْطَاكَ (١٩٨) . فَبَكَى مَالِكٌ بُكَاءً شَدِيدًا . قَالَ سُفْيَانُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . قَالَ : خَارِجُ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَدَّعَهُ مَالِكٌ وَخَرَجَ . وَأَمَّا الْقُبْلَةُ لِلرَّجُلِ فِي الْفَمِّ مِنَ الرَّجُلِ ، فَلَا رِخْصَةَ فِيهَا بَوَجْهِهِ وَلَا عَلَى حَالٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

### في ضحك النبي عليه السلام سروراً بما أعطى الله أمته

قال مالك : وَبَلَّغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَبَسَّمَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ . قَالَ : «لِهَذَا الْمُؤْمِنِ يُصِيبُهُ مَا يُحِبُّ فَيُشْكِرُ اللَّهَ فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ» (١٩٩) .

قال محمد بن رشد : يشهد بصحة هذا الحديث قول الله عز وجل : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ (٢٠٠) الآية وقوله صلى الله عليه : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَّ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي» (٢٠١) . والله الموفق .

### في مشي عيسى بن مريم على الماء وإحيائه الموتى

قال مالك : بلغني أن عيسى بن مريم قال له رجل من

(١٩٨) اقتصر في المصدر قبله على صدر الحديث واما حديث معانقة النبي لجعفر ، وتقبيله بين عينيه فقد خرج البغوي في معجمه ، في رواية ، ووقعه من طريق آخر عن جابر بن عبد الله . (١٩٩) لم أقف عليه .

(٢٠٠) سورة التوبة . الآية : ١٢٨ وقد ذكرت الآية تامة كما في ق . ١ وتماها ﴿من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

(٢٠١) رواه مسلم في الايمان والبخاري والترمذي في كتاب : الدعاء عن أبي هريرة بلفظ : لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني أختبأت دعوتي شفاعَةً لأمتي يوم القيامة . ورواه أحمد في مسنده من طريق أنس .

أصحابه : إنك تمشي على الماء ، فقال له عيسى : وأنت إن كنت لم تخط خطيئة مشيت على الماء ، فقال له الرجل : ما أخطأت خطيئة قط . فقال له عيسى : فامش فمشى ذاهباً وراجعاً ، حتى إذا كان ببعض البحر إذا هو قد غرق ، فدعا عيسى فأخرج ، فقال له عيسى : مالك ذهبت ورجعت فغرقت ؟ أليس زعمت أنك لم تخط خطيئة قط ؟ فقال : ما أخطأت شيئاً قط ، إلا أنه وقع في قلبي أنني مثلك ، قال مالك : وبلغني أن عيسى بن مريم أتته امرأتان فقالتا له : ادع الله يخرج لنا أبانا فإنه مات ونحن غائبتان عنه قال : فأين قبره ؟ فأشارتا إليه في قبره ، فدعا فأخرج ، فإذا هو ليس هو ، قال : ثم دلتاه على قبر آخر فخرج فإذا هو هو ، والتزمته ثم قالتا له : اتركه يكون معنا . قال كيف أتركه وليس له رزق يعيش فيه ؟ قال الإمام القاضي : مشى عيسى بن مريم على الماء معجزة من

معجزاته ، وكذلك مشى الرجل من أصحابه على الماء بحضرته إلى أن غرق بما حدث به نفسه ، من معجزاته أيضاً لأن ما كان من الآيات الخارقة للعادات في زمن نبي من الأنبياء ، لبعض أصحابه فهو معدود في جملة معجزاته ، والخطيئة التي غرق من أجلها صاحب عيسى بن مريم هي مما قد يجاوز الله لهذه الأمة بفضله عن مثلها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تَجَاوَزَ اللَّهُ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهَا مَا لَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانٌ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ يَدٌ» (٢٠٢) ويروى الحديث مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهَا بِالنَّصْبِ وَمَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا بِالرَّفْعِ فَمَنْ رَوَاهُ مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا بِالرَّفْعِ قَالِ الْخَوَاطِرُ الَّتِي يَبْعُضُ الرَّجُلُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا اخْتِيَارٍ لَهَا ، مِثْلَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : «وَلَقَدْ

(٢٠٢) رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الإيمان ، هكذا : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْقِلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ » ورواه البخاري وغيره من طريق عمران بن حصين .



هذا القائل ، ذهب في الحديث إلى رواية من رواه حدثت به أنفسها بالضم . والله أعلم . وأما إحياء عيسى الموتى فليس من فعله ، ولا داخل تحت قدرته ، وإنما هو أمر كان يفعله الله دليلاً على صدقه فيما يُخبر به عن الله ، ومصداق ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ (٢٠٦) وذلك بين أيضاً في هذا الحديث وقوله فيه فدعاه فأخرج ، فلم يكن له في ذلك إلا إجابة الدعوة وبالله التوفيق .

### فضائل عمر بن عبد العزيز

قال مالك : جاء مسملة بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز وهو مريض يموت ، فاستأذن عليه ، فمنع ، فألقى بنفسه ، فقعده ، ثم قال لا أبرح حتى يؤذن لي فأذن له فدخل ، وقيل له : أقل المكث ، فقال : لقد ليئت لنا قلوباً كانت قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً - قال مالك : وبلغني أن هشام بن عبد الملك قال له : إنا لا نعيب أبانا ولا نضع شرفنا في قومنا ، فقال له عمر : ومن أعيب ممن عابه القرآن ؟ قال مالك : كتب عمر بن عبد العزيز : إن من قطع به من الجزية ، فأسلفوه من مال المسلمين ، قال مالك : وبلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يغاضب بعض أهله فكان له نساء فكان يأتيها في ليلتها فيبيت في حجرتها وتبيت هي في بيتها ، فقيل له : أفترى ذلك ؟ فقال : نعم وكذلك في كتاب الله : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ (٢٠٧) قال مالك : بلغني أن عمر بن عبد العزيز ترك أن يخدم ، فكان يدخل بعد المغرب ، فيجد الخوان موضوعاً عليه منديل ، فيتناوله فيقدمه (كذا) إليه فيكشف المنديل ويأكل ، ويدعو عليه من كان معه .

قال محمد بن رشد : هذا كله بين لا إشكال فيه ؛ فيه الإقرار لعمر بن عبد العزيز بالفضل ، وتواضعه هو في تناوله أخذ طعامه هو بيده ، وعدله بين نسائه فيما يلزمه فيه العدل بينهن من المبيت في بيت كل واحدة منهن في ليلتها وإن كان واجداً عليها . وقد مضى في رسم اغتسل من سماع ابن القاسم من كتاب النكاح ما يلزمه في العدل بينهن مما لا يلزم ، وفي رسم الأقضية الثاني ، ورسم الطلاق من سماع أشهب فيه . فلا معنى لذكره هنا وفيه اهتباله بالوصية لأهل الذمة بأن يسلف من احتاج منهم من بيت مال المسلمين ، معناه : إذا كان شيء يرجوه . وأما من افتقر منهم واحتاج ولم يكن له شيء يرجوه ، فالواجب أن ينفق عليه من بيت مال المسلمين . وبالله التوفيق .

### في افتراق أحوال الناس في عبادتهم وأعمالهم

قال : وحدثنا ابن القاسم عن مالك عن يحيى بن سعيد قال : يقال رُبَّ نائم مغفور له ، وقائم مشكور ، ودائب مضيع ، وساع لغيره .

قال محمد بن رشد : النائم المغفور له هو الذي يكتب له أجر عمله بالنية ، فيغفر له بذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَمْرٍء تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بَلِيلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كُتِبَ لَهُ أَجْرُ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهَا صَدَقَةً » (٢٠٨) . وقال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته بالمدينة أقواماً ما سيرتُم مسيرةً وَلَا قَطَعْتُم وَاذِيًّا أَوْ كَمَا قَالَ : إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ . قَالُوا وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ (٢٠٩) . وقال الله عز وجل :

(٢٠٨) رواه مالك في الموطأ عن عائشة . في كتاب صلاة الليل . وأخرجه أبو داود في كتاب التطوع . باب : من نوى القيام فنام . والنسائي في كتاب قيام الليل . باب : من كان له صلاة بالليل ، فغلب عليها النوم .

(٢٠٩) الحديث رواه أبو داود أوردها كذا « لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِيرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَاذٍ إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : « حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ » وموضوع الحديث ، غزوة تبوك .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١٠) الآية . فدل ذلك على استوائهم في ذلك مع أولي الضرر والقائم المشكور هو الذي يعمل العمل على سنته ، والدائب المضيع هو الذي يعمل العمل على غير السنة ، والساعي لغيره كثير ، فترى الرجل يسعى في طلب الرزق ، ولعله لا يتوقى فيه ولا يؤدي حق الله منه فيصير لوارثه ، فيفعل الخير منه ، ويؤدي حق الله فيه فيؤجر ، وينعم فيما قد سعى له غيره فيه ، فإنما للرجل من ماله ما لبس فأبلى ، أو أكل فأفنى ، أو تصدق في طاعة الله فأمضى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي ، وَمَالِكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ » (٢١١) . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ . قَالَ : ااعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ، قَالُوا : مَا نَعْلَمُ إِلَّا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا مَالٌ أَحَدِكُمْ مَا قَدَّمَ ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ » (٢١٢) ، ومعنى هذا الحديث : إن ما ترك الرجل من مال لوارثه ولم ينتفع به في حياته ، فكأن لم يكن له بمال ، لأن ملكه إياه في حياته منتف عنه في الحقيقة ، وإنما انتفى عنه في الحقيقة الانتفاع به ، وبالله التوفيق .

### فيما يعطي الله في الدنيا لمن يحب ولمن يبغض

قال : وحدثنا ابن القاسم عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال : يقال : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه إياه أن يسكنه في

(٢١٠) الآية : ٩٥ من سورة النساء .

(٢١١) رواه النسائي في سنته عن مطرف عن أبيه بلفظ : وإنما مالك ما أكلت فأفنيته الخ .

(٢١٢) رواه النسائي في سنته . « باب الكراهة في تأخير الوصية » بالفاظ أخرى .

أعلى عُرف الجنة ، ثم يعمد إلى خير ما يعلم له من الدنيا فيكون ما يكره ذلك العبد ، فيكثر له منه حتى إن الناس لا يرحمونه ، وإن الله ليرحمه به ، وإن الله ليبغض العبد حتى يبلغ من بغضه له ما يسكنه في أسفل درك جهنم ، ويعطيه من الدنيا شر ما يعلم فيكون ما يحب ذلك العبد ، فيكثر له منه .

قال محمد بن رشد : مثل هذا لا يكون رأياً ومصادقه في كتاب الله قال الله عز وجل : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٣) .

### في نهى النساء عن لباس القباطي

قال مالك : وبلغني أن عمر بن الخطاب نهى النساء عن لباس القباطي قال : فإن كانت لا تشف ، فإنها تصف .

القباطي ثياب ضيقة تلصق بالجسم لضيقها فتبدو ثخانة جسم لابسها من نحافته ، وتصف محاسنه ، وتبدي ما يستحسن منه مما لا يستحسن ، فنهى عمر بن الخطاب أن يلبسها النساء امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (٢١٤) . والله أعلم .

### فيما ذكر في قتل يحيى بن زكريا

قال مالك : وبلغني أن يحيى بن زكريا ، إنما قتل في امرأة وأن بخت نصر لما دخل بيت المقدس بعد زمن طويل ، وجد دمه يفور لا يطرح عليه سقي تراب ، ولا شيء إلا فار وعلا عليه فلما رآه

(٢١٣) سورة البقرة . الآية : ٢١٦ .

(٢١٤) الآية : ٣١ من سورة النور .

دعا بني إسرائيل وسألهم ، فقالوا : لا علم لنا هكذا وجدناه وأخبرنا به آباؤنا عن آبائهم أنهم هكذا وجدوه . قال بخت نصر : هذا دم مظلوم ولاقتلن عليه ، فقتل سبعين ألفاً من المسلمين والكفار فهذا بعد ذلك .

قال محمد بن رشد : قال في هذه الحكاية : إن يحيى بن زكرياء إنما قتل في امرأة ولم يبين كيف كان سببه مع المرأة التي قتل من أجلها ؟ فروي عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ رَأَى زَكَرِيَاءَ فِي السَّمَاءِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا يَحْيَى أَخْبِرْنِي عَنْ قَتْلِكَ ، وَكَيْفَ قَتَلْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ؟ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : أَخْبِرْكَ أَنَّ يَحْيَى كَانَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَصْبَحَهُمْ وَجْهًا . وَكَانَ كَمَا قَالَ اللهُ : ﴿ سَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ لَا يَحْتَاجُ إِلَى النِّسَاءِ ، فَهَوِيَّتُهُ أَمْرًا مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَعَصَمَهُ اللهُ ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا ، فَأَجْمَعَتْ عَلَيَّ قِتْلًا : وَكَانَ لَهُمْ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَكَانَتْ سُنَّةُ الْمَلِكِ مَعَهُ إِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلَفْ وَلَا يَكْذِبُ ، فَخَرَجَ إِلَى الْعِيدِ ، فَقَامَتْ أَمْرَاتُهُ فَشَيَعَتْهُ ، وَكَانَ بِهَا مُعْجَبًا وَلَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : سَلِي حَاجَتِكَ ، فَمَا تَسْأَلِينِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ ، فَقَالَتْ : دَمَ يَحْيَى ، فَقَالَ : سَلِي غَيْرَهُ ، قَالَتْ : هُوَ ذَلِكَ ، قَالَ : هُوَ لَكَ فَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى وَهُوَ فِي مِحْرَابِهِ يُصَلِّي وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ أُصَلِّي فَذَبِحَ فِي طُسْتٍ فَحَمِلَ رَأْسَهُ وَدَمَهُ إِلَيْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَمَا بَلَغَ مِنْ صَبْرِكَ ؟ قَالَ : مَا ابْطَلتَ مِنْ صَلَاتِي ، فَحَمِلَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَلَمَّا أَمْسَوْا خَسَفَ اللهُ بِالْمَلِكِ وَأَهْلَكَ بَيْتَهُ وَحَشَمَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : قَدْ غَضِبَ إِلَاهُ زَكَرِيَاءَ لِزَكَرِيَاءَ ، فَتَعَالَوْا حَتَّى نَغْضِبَ لِمَلِكِنَا فَتَقْتُلَ زَكَرِيَاءَ ، فَخَرَجُوا فِي طَلْبِي لِيَقْتُلُونِي فَجَاءَنِي النَّذِيرُ ، فَهَرَبْتُ مِنْهُمْ وَإِبْلِيسُ أَمَامَهُمْ يَدُلُّهُمْ عَلَيَّ فَلَمَّا تَخَوَّفْتُ أَنْ يَلْحَقُونِي عَرَضْتُ لِي شَجْرَةٌ فَنَادَتْنِي إِلَيَّ يَا فَاغْضَبْتِ لِي ، فَدَخَلْتُ فِيهَا وَأَخَذَ إِبْلِيسُ بِطَرَفِ رِءَاءِ لِي وَالتَّامَتِ الشَّجْرَةُ فَبَقِيَ طَرَفٌ رِدَائِي خَارِجًا مِنَ الشَّجْرَةِ ، فَجَاءَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ إِبْلِيسُ : دَخَلَ فِي هَذِهِ

الشَّجَرَةَ ، وَهَذَا طَرَفُ رِدَائِهِ دَخَلَهَا بِسُحْرِهِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَحْرِقُ الشَّجَرَةَ ، فَقَالَ إِبْلِيسُ بَلْ شَقُّوْهَا فَشَقُّوْهَا فَاثَّقَتْ مَعَ الشَّجَرَةَ بِالْمِثْسَارِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَا زَكَرِيَّا : هَلْ وَجَدْتَ مَسًّا أَوْ وَجَعًا ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّمَا وَجَدْتُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ جَعَلَ اللَّهُ رُوحِي فِيهَا (٢١٥) . وقد جاء في بعض الأخبار أن سبب طلبهم ليقتلوه حين هرب منهم ، فانصدعت له الشجرة ، هو أن مريم لما حملت قالوا : ضيع بنت سيدنا في كفالتة إياها حتى زنت . وروي عن ابن عباس أن الذي أنصدعت له الشجرة فدخل فيها هو أشعب عليه السلام قبل عيسى ، وأن زكريا مات موتاً . فالله أعلم .

وقد جاء في بعض الأخبار أن يحيى بن زكريا كان تحت يدي ملك فهتمت بنت الملك بأبيها ، وقالت : لو تزوجت أبي فيجتمع لي سلطانه دون نسائه ، أن تزوجني ودعته إلى نفسها فقال : يا بنية : إن يحيى بن زكريا لا يُحل لنا هذا . فقالت : من لي يحيى بن زكريا ضيف علي ، وحال بيني وبين تزويجي أبي فأغلب علي ملكه وديناه دون نسائه ، فتحيلت لقتل يحيى وأمرت اللعاب فقالت : ادخلوا على أبي فالعابوا فإذا فرغتم فإنه سيحكمكم ، فقولوا : دم يحيى بن زكريا ثم لا تقتلوا غيره ، وكان الملك إذا حدث فكذب ، أو وعد فأخلف ، خُلع واستبدل غيره ، فلما لعبوا وكثر عجبه منهم ، قال : سلوني قالوا : نسألك دم يحيى بن زكريا ، قال : سلوني غير هذا ، قالوا لا نسألك غيره ، فخاف على ملكه إن هو خالفهم أن يستحل بذلك خلعه ، فبعث إلى يحيى وهو في محرابه يصلي ، فذبحوه ثم جروا رأسه ، فاحتمله الرجل في يده ، والدم في الطست معه حتى وقف على الملك ورأسه في يد الذي يحمله ، والرأس يقول : لا يحل لك ما تريد . وروي عن كعب

(٢١٥) انظر قصة يحيى وزكرياء مبسوطه في تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ، ج ٢ من ص ١٤ إلى ١٨ . ط ١ . وبالكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري . ج ١ من ص ١٦٩ إلى ١٧٥ . ط ١ . وفي بعض هوامش الكامل . أن دخول زكرياء عليه السلام الشجرة ، لا أصل له ، وإنما هو محض افتراء .

نحو من هذا ، إلا أنه قال : لما قتل يحيى أقبل رأسه ينحدر ويقول بين يدي ظهراني الناس ، لا يحل لك ما تريد من نكاح أختك ، قال كعب كانت أخته . وقال غير كعب : كانت بنت أخيه . وقد جاء أنها كانت زوجة أخيه ، لأن ذلك في زمن لم يكن للرجل منهم أن يتزوج امرأة أخيه بعده . وإذا كذب متعمداً لم يول الملك فمات الملك . وأراد الملك أن يتزوج امرأة الملك الذي مات ، وكان أخاه ، فسألهم فرخصوا له ، فسأل يحيى بن زكريا ، فأبى أن يرخص له ، فحققت عليه امرأة أخيه ، وجاءت بنت أخي الملك الأول إليه ، فقال سليمان اليوم حكمك ، فقالت : حتى أنطلق إلى أمي فأتت أمها فقالت : قولي له : إن أردت أن تفي لنا بشيء ، فأعطني رأس يحيى بن زكرياء ، قال : قولي غير هذا خير لك ، قال : فلبث وكره أن يخالفها فلا يولي الملك . فدفع لها يحيى بن زكريا فذبحته فناداها منادي من فوقها يا ربة البيت الخاطئة العادية أبشري فإنك أول من يدخل النار وخسف بابتها وجاءوا بالمعاول ، فجعلوا يحفرون عليها وتدخل في الأرض حتى ذهبت . ولما كثر الفساد في بني اسرائيل ، وجاهروا بالمنكر ، وعلوا في الأرض واستكبروا فيها كما أخبر الله عز وجل بقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ (٢١٦) الآية انتقم منهم بما سلط عليهم . ويقال : إنه كان من فسادهم - الثاني قتل يحيى بن زكرياء فبعث الله عليهم بخت المجوسي فسبى وقتل منهم سبعين ألفاً وخرَّب بيت المقدس ، وحرق التوراة ، وكان من شأنه في دم يحيى الذي وجدته نصر البابلي يفور ، ما ذكر في الحكاية وجاء في بعض الأخبار أن الذنوب والمعاصي لما كثرت في بني اسرائيل ، بعث الله لهم نبياً يقال له أرمياء ، فلما أنذرهم بعذاب الله لهم على طغيانهم وعصيانهم ، وأنه مهلكهم ومُخلي الأرض منهم ، وقعوا به فضرَبوه وحبسوه ، فَأَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وسلط عليهم بخت نصر ، ولم يزل أرمياء محبوساً حتى جاء بخت نصر ، فيما لا يحصى من العدد ، فحاصرهم

حتى مات من مات منهم في الحصار ، إلى أن نزلوا على حكمه ، فقتل مقاتلتهم . كل قتلة ، منهم من حرق بالنار ، ومنهم من بطح على وجهه ومشيت عليه الخيل والدواب ، وصفد الأبحار والرهبان ، وسبا النساء والولدان ، وحرق التوراة ، وخرب المسجد . وجاء في بعض الأخبار أن رجلاً من علماء أهل الشام وجد نعت بخت نصر في الكتاب ، إنه غلام يتيم ، وله أم وله دواته ينزل ببابل وهو من أهلها ، فقدم الرجل ببابل ، فطلبه وسأل عنه حتى عرفه بالنعت ، وكان فقيراً يسرق الفراريح في صغره ، فقال العالم ذات يوم : إنك ستملك ، الشام ، فتظهر على الناس فاكتب لي ولقومي أماناً ، فقال : لا أدري ما هذا الذي تذكر ؟ فلم يزل به حتى كتب له ولقومه أماناً ، فلما شب قطع الطريق واجتمع الناس إليه فأرسل إليه ملك فارس جيشاً فهزمهم ، ثم أرسل إليه جيشاً آخر فهزمهم ، ثم سار إلى فارس ، فغلب عليها ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم توجه إلى الشام ، فلما دنا من الشام ، خرج العالم إلى مقدمته ، فقال : إن الملك عندي بصحة ، فجعل قوم يدفعه إلى قوم حتى دخل عليه ، فقال له : هل تعرفني ؟ فقال : ما أعرفك . فقص عليه العالم القصة ، فقال : ما أدري ما هذا الذي تقول ، ما هذا إلا مال ورثته عن آبائي فلم يزل به حتى أقر له ، ووفى بأمانه ، وأمنه ، وقال : لا تخبر أحداً فلما ظهر على الشام إذا هو بدم يحيى بن زكريا يفور فقال : لأقتلن على هذا الدم حتى يسكن ، فقتل عليه سبعين ألفاً ، فجعل لا يسكن حتى جاء قاتله ، فقال : هذا الدم لا يسكن أبداً حتى تقتلني ، فأنا الذي قتلته ، فسكن الدم وظهر على الشام وخرب بيت المقدس وحرق التوراة . وبالله التوفيق .

### في التوقي في حمل الحديث

قال مالك : وبلغني أن ابن سيرين كان يقول : إنما هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تحملوا دينكم . قال : وكان يحدث بالحديث ثم يتركه ويقول لأصحابه : قد تركت حديث كذا وكذا فاتركوه .

قال محمد بن رشد : قوله فانظروا عمن تحملوا دينكم يدل على أنه لا يجب قول خبر الراوي والعمل به، إلا بعد أن ينظر فيه ، فتعرف عدالته ، بأن يكون مجتنباً للكبائر متوقياً للصغائر . هذا احسن مما قيل في حدّ العدالة ، لأن من واقع كبيرة من الكبائر ، فهو فاسق محمول على الفسق حتى تعلم توبته منها ، ومن لم يتوق من الصغائر ، فليس يعدل حتى تعلم توبته منها لأن متابعة الصغائر كمقارفة الكبائر ، والشافعي يشترط المروءة في جواز الشهادة ، ولا تصح العدالة إلا بعد الإسلام والبلوغ . فهذه الثلاثة أوصاف مشروطة في العدالة ، فمن ظهر فسقه لم تقبل روايته ، ومن ظهرت عدالته ، قبلت روايته إجماعاً . واختلف إذا جهلت حاله ، فلم يعلم منه فسق ولا ظهرت منه عدالته ، فقال بعض أصحاب أبي حنيفة يحمل على العدالة ، وتقبل روايته ، وكذلك قالوا في الشهادة على الأموال خاصة ، دون الشهادة على ما سواها من الحدود والأبضاع وشبهها ، واستدلوا لما ذهبوا إليه من ذلك بقول عمر بن الخطاب : **الْمُسْلِمُونَ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** (٢١٧) . الحديث ولا حجة لهم في ذلك ، إذ ليس على ظاهره ، لأن معناه : إنما هو أن المسلمين هم الذين تجوز شهادتهم على بعضهم ، لا الكفار ، بدليل قوله : **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤَسِّرُ رَجُلٌ فِي الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ الْعُدُولِ** . والذي ذهب إليه مالك وجمهور العلماء أنه لا تقبل روايته ، ولا تجوز شهادته إلا بعد أن تعرف عدالته لقوله عز وجل : **﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾** إذ لا يرضى إلا من عرف بالعدل والرضى .

وقد مضى الكلام على هذامستوعباً في سماع سحنون من كتاب الشهادات ، وأما تحمّل الخبر والشهادة ، فلا يشترط في صحته إلا الميز والضبط ، خاصة ، لا الإسلام ، ولا البلوغ ، ولا العدالة ، ولا الحرية .

(٢١٧) ورد في كشف الخفا للمعجلوني أن ابن أبي شيبة أورده بسند إلى ابن عمرو . وذكره عمر بن الخطاب في راسلته الى أبي موسى الأشعري في القضاء . ج .

وَتَرَكَ ابْنِ سِيرِينَ لِلْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَ بِهِ ، قَدْ يَكُونُ لِنَسْخِ بَلْغِهِ فِيهِ ، أَوْ لَشَيْءٍ اتَّصَلَ بِهِ عَنْ رِوَايَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### في حفظ قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال مالك : انهدم حائط بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره ، فخرج عمر بن عبد العزيز ، واجتمع رجالا قريشا ، فأمر عمر بن عبد العزيز فستر بثوب ، فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم ، أمر مزاحماً أن يدخل يخرج ما كان فيه فدخل فقم ما كان فيه من لبنٍ أو طحين وأصلح في القبر شيئاً كان أصابه حين انهدم الحائط ثم خرج وستر القبر ، ثم بنى .

قال محمد بن رشد : إنما ستر عمر بن عبد العزيز القبر إكراماً له وخشي لما رأى الناس قد اجتمعوا أن يدخلوا البيت فيتزاحموا على القبر فيؤذوه بالوطء لتزاحمهم عليه رغبة في التبرك به ، فأمر مزاحماً مولاه بالانفراد بالدخول فيه ، وقمه واصلاح ما انثلم منه بانهدام الحائط عليه . وإنما ستر القبر على الناس وبنى عليه بيتاً صيانة له مخافة أن ينتقل تُرابه ليستشفى به ، أو ليتخذ مسجداً يصلى فيه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَتُناً يُعْبَدُ . أَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » (٢١٨) . وبالله التوفيق .

### في أن لظهر المسجد من الحرمة ما للمسجد

قال مالك : كان عمر بن عبد العزيز يفرش له على ظهر المسجد في الصيف فيبيت فيه ولا تأتيه فيه امرأة . ولا تقربه وكان فقيهاً .

(٢١٨) رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار في جامع الصلاة . قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث .

قال محمد بن رشد : لا اختلاف في ان لظهر المسجد من الحرمة ما للمسجد ، ألا ترى أنه لم يجز في المدونة للرجل أن يبني مسجداً وبني فوّه بيتاً يرتفق به . واحتج للمنع بفعل عمر بن عبد العزيز هذا . وقال : إنه لا يورث المسجد ولا البنيان الذي يكون على ظهره ، ويورث البنيان الذي يكون تحته ، وإنما اختلف هل لما فوق المسجد من ظهره حكم المسجد ؟ في جواز صلاة الجمعة فيه على قولين : أحدهما قوله في المدونة : إنه يعيد من فعل ذلك ظهراً أربعاً ، وأشهب يكره ذلك ابتداء ولا يرى عليه إعادة إن فعل ، في وقت ولا غيره ، وهو اختيار اصبغ وفي كتاب السرقة من المدونة دليل على هذا القول ، وهو قوله فيه في الذي ينشر ثيابه على ظهر بيته وهو محجور عن الناس ، فيسرقها سارق ، إنه يقطع وفي المبسوطة لأنس بن مالك ، وعروة بن الزبير أنهما كان يصليان الجمعة بصلاة الإمام في بيوت محمد بن عبد الرحمان وبينها وبين المسجد الطريق وذلك خلاف مذهب مالك وأصحابه .

### في غسل اليد قبل إدخالها في الوضوء

قال مالك : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ ، فَلْيُفْرِغْ عَلَى يَدِهِ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فَقَالَ رَجُلٌ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِهَذَا الْمَهْرَاسِ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَفِّ لَكَ (٢١٩) .

قال محمد بن رشد : لما أمره في الحديث أن يفرغ على يديه الماء قبل أن يدخلهما فيه ، سأله كيف يصنع بالمهراس الذي لا يمكنه أن يفرغ منه

(٢١٩) روى هذا الحديث من طرق متعددة بألفاظ مختلفة . ونص رواية الموطأ : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ ، فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي وُضُوئِهِ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ » .

على يديه ، وتأول عليه أبو هريرة أنه لم يسأله مستفهماً ، وإنما سأله معارضاً للحديث ، يقول : كيف يأمره أن يفرغ على يده من الماء قبل أن يدخلهما فيه ، وقد يكون المهراس ، فلا يمكنه أن يفرغ على يده منه ؟ ولذلك قال له : أف لك . أي لا تعارض الحديث ، يريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله . وهذه الزيادة وقعت في رسم البز من سماع ابن القاسم من كتاب الوضوء . ومضى الكلام على هذه المسألة في غير ما موضع من الكتاب المذكور . وتحصيل القول في ذلك ، أن الماء إذا وجدته القائم من نومه في مثل المهراس الذي لا يمكنه أن يفرغ منه على يديه ليغسلهما فإن أيقن بطهارة يده ، أدخلها فيه ، وإن أيقن بنجاستها لم يدخلها فيه ، واحتال لغسلها ، بأن يأخذ الماء بفيه ، أو بثوب ، أو بما قدر عليه وإن لم يوقن بنجاسها ولا بطهارتها ، فقليل : إنه يدخلها في المهراس ، ولا شيء عليه ، لأنها محمولة على الطهارة ، وهو قول مالك في آخر سماع أشهب من كتاب الوضوء ، وقيل إنه لا يدخلها فيه ، وليحتل لغسلها بأخذ الماء بفيه ، أو بما يقدر عليه وهو ظاهر قول أبي هريرة في هذه الرواية ، وأما إن قام من نومه ، فوجد الماء في إناء يمكنه أن يفرغ منه على يديه في الماء ، فلا يدخل يديه في الماء حتى يغسلهما ، فإن أدخلهما فيه قبل أن يغسلهما فالماء طاهر إن كانت يده طاهرة ، ونجس إن كانت يده نجسة على مذهب ابن القاسم يتيمم ويتركه فإن لم يعلم بيده نجاسة فهي محمولة على الطهارة ، لا تفسد عليه الماء وسواء أصبح جنباً أو غير جنب ، خلاف ما ذهب إليه ابن حبيب من تفرقه بين الوجهين .

### في المائلات المميلات

وسئل مالك عن تفسير مائلات مُميلات . قال مائلات عن الحق مميّلات ، من أطاعهن .

قال محمد بن رشد : يريد : سئل عن تفسير ما جاء في الحديث من قوله مَائِلَاتٌ مَمِيلَاتٌ ، وهو حديث وقع في الموطأ بكماله موقوفاً على أبي

هريرة قال : نَسَاءٌ كَأَسِيَّاتٍ عَارِيَّاتٍ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَرِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ (٢٢٠) . ومثله لا يكون رأياً .  
وقد رواه عن مالك مرفوعاً عن النبي عليه السلام عبد الله بن نافع الصائغ والكاسيات العاريات من النساء هن اللواتي يلبسن الرقيق من الثياب التي تصف وتشف ، ولا تستر ، فهنَّ في الحقيقة لابسات وفي المعنى : عاريات .  
وقوله : إِنَّهِنَّ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَهُوَ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ . معناه : إن هذا هو جزاؤهن عند الله عز وجل على هذا الفعل ، أن جازاهن عليه ولم يغفره لهن ، فإنه عز وجل يقول : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢٢١) وليس معنى قوله ، إِنَّهِنَّ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ عَلَى التَّأْيِيدِ ، وإنما معناه : إِنَّهِنَّ لَا يَدْخُلْنَ فِيهَا إِلَّا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَذْنِبِينَ .

### في كراهية الخروج من المسجد بعد الأذان

قال مالك : بلغني أن رجلاً قدم حاجاً وأنه جلس إلى سعيد بن المسيب وأذن المؤذن فأراد أن يخرج من المسجد ، واستبطن الصلاة ، قال له سعيد : لا تخرج ، فإنه بلغني أنه من خرج بعد المؤذن خروجاً لا يرجع إليه ، أصابه أمر سوء . قال : فقعد الرجل ، ثم إنه استبطن الإقامة ، قال الرجل : ما أظنه إلا قد حبسني فخرج ،

(٢٢٠) ذكر محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لكتاب الموطأ ج . ٢ ص ٩١٣ ما يأتي : كذا وقفه يحيى ورواة الموطأ إلا عبد الله بن نافع فقال : عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه مسلم من طريق جرير عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . في كتاب اللباس والزينة : باب النساء الكاسيات العاريات .

(٢٢١) سورة النساء . الآية : ٤٨ .

فركب راحلته فصرع ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : ظننت أنه يصيبه ما يكره .

قال محمد بن رشد : قول سعيد : وقد بلغني أنه من خرج بعد المؤذن خروجاً لا يرجع إليه ، أصابه أمر سوء ، معناه : إن ذلك بلغه عن النبي عليه السلام ، إذ لا يقال مثله بالرأي ، وهي عقوبة معجلة من الله عز وجل للخارج بعد الأذان من المسجد على أن لا يعود إليه لاثاره تعجيل حوائج دنياه على الصلاة التي حضر وقتها . قال عز وجل : ﴿ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٢٢٢) وأما إن خرج راغباً عنها وآبياً من فعلها فهو منافق . وقد قال سعيد بن المسيب : بلغني أنه لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء ، إلى حد يريد الرجوع إليه ، إلا منافق . وبالله تعالى التوفيق .

في ما كان عليه أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم في حياته

إلى أن توفي في التقلل في الدنيا

وترك التنعم فيها والرضى بالدون من العيش

قال وسمعت مالكا يقول : سمعت أنه توفي صلى الله عليه وسلم وليس بالمدينة منخل ، ينخل به (٢٢٣) ، ف قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف كنتم تفعلون ؟ قالوا : نطحن الشعير ثم ننفضه ثم ننفخه ، فما طار طار ، وما بقي بقي .

قال الإمام القاضي : في هذا دليل على أن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تتسع بالوفر والغنا في حياته ، كما اتسعت بعد وفاته

(٢٢٢) الآية : ٣٠ من سورة الشورى .

(٢٢٣) في ق . ١ دقيق .

مما أفاء الله عليهم من الغنائم والفتوحات ، التي وعدهم الله بها حيث يقول : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ (٢٢٤) فكثرت أموالهم من ذلك واتسعت أحوالهم ، وصاروا أهل ثروة وغنا منهم الزبير بن العوام ، بلغت تركته خمسين ألف ومائتي الف ، بعد ان ودّى عنه ابنه عبد الله ما كان عليه من الدين ، وذلك ألف ومائتا ألف ، باع فيه بعض ما كان تخلفه من الأموال ، وقطع من الغابات التي كان تخلفها ميراثاً قطعه لعبد الله بن جعفر في أربعمائة ألف كان له عليه ، فباعها ابن جعفر بستمائة الف ، ربح فيها مائتي ألف ، وفضلت من الغابة بعد ما باع منها مائة ألف ، فقوم على معاوية ، وأخبر بذلك ، وعنده عمرو بن عثمان ، ومنذر ابن الزبير وعبد الله ابن ربيعة ، فقال عمرو بن عثمان : قد أخذت منها سهماً بمائة ألف ، وقال منذر بن الزبير : قد أخذت منها سهماً بمائة الف ، وقال عبد الله بن ربيعة : قد أخذت منها سهماً بمائة ألف وقال معاوية : قد أخذت السهم الباقي ونصف السهم بمائة ألف وخمسين ألفاً ، وكان له أربع زوجات ، وأوصى بثلاث ماله ، فأخرج الثلث ، وأصاب كل امرأة من نسائه ، ألف ألف ومائتا الف وكانوا رضي الله عنهم في كلتا الحالتين محمودين ، لأنهم صبروا في حالة الفقر على ضيق العيش ، وشكروا الله على ذلك وقنعوا بما أعطوا ، واثروا على أنفسهم من القليل كما وصفهم الله به حيث يقول : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٢٢٥) فكان لهم من الأجر على ذلك كله ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل . وشكروا الله في حال الغنا على ما آتاهم الله من فضله ، ووسع عليهم من رزقه ، وأدوا ما افترض الله عليهم في أموالهم من الزكوات الواجبات ، وقاموا بما يلزمهم القيام به من اللزمات ، وتطوعوا لوجه الله تعالى بما لا يلزمهم من القرب والصدقات ، فكان لهم من الأجر على ذلك كله ، ما لا يعلم مقداره إلا الله

. ٢٠ : الآية . سورة الفتح .

. ٩ : الآية . سورة الحشر .

عز وجل (٢٢٦) وقد اختلف الناس في الفقر والغنا على أربعة أقوال : فمنهم من ذهب إلى أن الغنا أفضل ، ومنهم من ذهب إلى أن الفقر أفضل . ومنهم من توقف في ذلك . ولم ير المفاضلة . وهذا فيمن كان يؤدي ما لله عليه من حق في حال الفقر لفقره ، وفي حال الغنا لغناه . لأن من كان يؤدي حق الله الواجب عليه في الفقر ، ولا يؤدي حقه الواجب عليه في الغنا فلا اختلاف في أن الفقر أفضل له من الغنا ، ومن كان يؤدي حق الله الواجب عليه في الغنا ، ولا يؤدي حقه الواجب عليه في الفقر ، فلا اختلاف في أن الغنا أفضل ، لأن الفضل في الفقر والغنا ليس لذاتهما . وإنما هو لمن يكتسب بسبب ما يؤجر عليه فيكتسب بسبب الفقر الرضى والصبر ، على ما قسم له ، والشكر لله على ذلك ، والتصرف والخدمة فيما يحتاج إليه من كسوته ونفقته ، ونفقة من يلزمه الإنفاق عليه ، فيؤجر على ذلك كله ، ويكتسب بسبب المال الصبر على إنفاقه في الواجبات ، وما يندب إليه من القربات ، مع حبه إياه قال تعالى : ﴿ وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٢٢٧) إلى قوله : ﴿ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢٢٨) . والشكر لله تعالى ما أتاه من فضله فيؤجر على ذلك كله . والذي أقول به في هذا تفضيل الغنا على الفقر وتفضيل الفقر على الكفاف ، وإنما قلت : إن الغنا أفضل من الفقر ، لقوله عز وجل : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢٢٩) فلو كان الفقر أفضل من الغنا ، لكان تعالى يأمرنا أن نسأله تفضيل الأفضل بالأدنى ، وذلك خلاف المعلوم

(٢٢٦) وقع بتر بالأصل ، حيث حذف من قوله : عز وجل الأولى إلى قوله : وقد اختلف الناس .

(٢٢٧) سورة البقرة . الآية : ١٧٧ وأول الآية : « لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

(٢٢٨) سورة الإنسان . الآية : ٨ .

(٢٢٩) سورة النساء . الآية : ٣٢ وأول الآية : ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ

من المعنى ، وقوله عز وجل : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ (٢٣٠) فلو كان الفقر أفضل من الغنا لكان تعالى قد آمتن عليه صلى الله عليه وسلم ، بأن نقله من الأفضل إلى الأدنى وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٢٣١) فلو كان ما كانوا فيه أفضل وأولى لم يكن لحزنهم معنى وقوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (٢٣٢) وشتان في الفضل بين ما يُعبد الله به من الغنا ، وما يعبد الشيطان به من الفقر ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢٣٣) وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢٣٤) وما أشبه ذلك من الآيات كثير ولقوله عليه السلام : حين قيل له : ذهب الأغنياء بالأجور : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » (٢٣٥) وبقوله صلى الله عليه وسلم : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ » (٢٣٦) . وقوله عليه السلام : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ضَمِنَتْ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ » (٢٣٧) وقوله عليه السلام : « إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ

(٢٣٠) الآية : ٨ من سورة : الضحى .

(٢٣١) الآية : ٩٢ من سورة التوبة . وأول الآية : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أتَوْكَ لَتَحْمِلَهُمْ ﴾ .

(٢٣٢) الآية : ٢٦٨ من سورة البقرة .

(٢٣٣) الآية : ٢٨ من سورة التوبة . وأول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ .

(٢٣٤) الآية : ٧٤ من المصدر قبله ، وأول الآية : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ .

(٢٣٥) الحديث الذي يشير إلى هذا المعنى رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر هكذا : إن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي . الحديث . (٢٣٦) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه عن أبي هريرة بزيادة قَطُّ عقب قوله : ما نفعني مال الأولى .

(٢٣٧) روى البخاري وأحمد والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ . فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ » .

مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ» (٢٣٨) . وأمره عليه السلام بقبول ما أتى من غير مسألة ، ونهيه عن إضاعة المال . وعن الوصية بما زاد على الثلث وما أشبه ذلك من الأحاديث التي يكثر عددها ولا يمكن حصرها ولأن الفقير يؤجر من وجهين : أحدهما الصبر على الفقر والفاقة ، مع الرضى بذلك ، والشكر لله تعالى عليه ، والثاني تصرفه وعمله فيما يعيد به على نفسه ما لا بد له منه من نفقته ونفقة من تلزمه نفقته . والغني يؤجر من وجوه كثيرة ، منها الشكر لله عز وجل على ما أتاه من فضله ، ومنهما الصبر على ما يعطيه من ماله لوجه الله عز وجل في الواجب عليه من الزكاة ، وفيما سوى ذلك من القربات ، ومن الإنفاق على ما يجب عليه الإنفاق عليه ، من الزوجات والبنين الصغار ، والآباء والأمهات المعدمين ، مع حبه له ، وشحه عليه . قال عز وجل : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ (٢٣٩) الآية وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ (٢٤٠) ثناءً منه عز وجل بذلك عليهم . وقد يتزوج الغني الزوجتين والثلاث والأربع ، ويتسرا الإماء ذوات العدد ، فيستمتع بوطئهن ، ويؤجر بذلك فيهن . والفقير لا يقدر على شيء من ذلك ، وما فضل على الرجل من ماله بعد أن أدى منه الواجب عليه فيه باستمتاعه به في الرفيع من اللباس والطيب والطعام ، والحسن ، والحسن من الركوب ، والجيد من السكنى من غير إسراف في شيء من ذلك كله لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢٤١) ، أولى من ترك ذلك وإمساك المال ، إذ لا أجر في مجرد إمساك المال ، وإنما يؤجر على إمساكه إذا أمسكه لخير يريد أن يفعله منه . وقد يؤجر على الاستمتاع بماله في لباس الحسَن لأن الله يحب أن يرى أثر

(٢٣٨) رواه مالك في الموطأ وغيره عن سعد بن أبي وقاص في : الوصية بالثلث .

(٢٣٩) سبقت الإشارة قريباً إلى مرجع الآية .

(٢٤٠) الآية : ٨ من سورة الانسان .

(٢٤١) سورة الفرقان : الآية : ٦٧ .

نعمته على عبده . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب جابر بن عبد الله لما لبس الثوبين الجديدين بأمره له بذلك ونزع الخفين : مَا لَهُ ضَرَبَ اللَّهُ عُنُقَهُ أَلَيْسَ هَذَا خَيْرٌ لَهُ؟ (٢٤٢) وقال عمر بن الخطاب : إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أَنْظَرَ إِلَى الْقَارِيءِ أَيْضَ الثِّيَابِ (٢٤٣) . وقال : إِذَا أَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَوْسِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٢٤٤) . ويؤجر على التوسعة على أهله في الإنفاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ » (٢٤٥) . ففي هذا كله بيان واضح على أن وجود المال خير من عدمه ، لأنه إذا عديمه لم ينتفع بعده ، وإذا وجدته انتفع بوجوده ، إما باستمتاع مباح غير مكروه لا أجر له فيه ، وإما باستمتاع مندوب إليه فيه أجر إلى ما يفعل منه من الخير الواجب والتطوع ، وإنما قلت : إن الفقر أفضل من الكفاف ، لأن الذي عنده الكفاف ، إنما يؤجر على شكر نعمة الله عليه فيما أعطاه من المال الكفاف الذي لا فضل فيه عما يحتاج إليه ، فأغناه ذاك عن الكدح والتصرف فيما يحتاج إليه . والفقير يؤجر من وجهين ، حسبما ذكرناه واستدل من ذهب إلى أن الفقر أفضل من الغني بقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٤٦) ولا دليل لهم فيه ، لأن الأغنياء يشاركونهم في الصبر . والأجور في الأعمال على قدر النيات فيه .

(٢٤٢) رواه مالك في الموطأ عن جابر بن عبد الله الأنصاري . كتاب اللباس . باب : ما جاء في لبس الثياب للجمال بها .

(٢٤٣) رواه مالك في الموطأ أيضاً . في كتاب اللباس .

(٢٤٤) جزء من حديث ، رواه البخاري من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة . في كتاب الصلاة . باب الصلاة في القميص الخ . وفيه إذا وَسَّعَ اللَّهُ وَرَوَاهُ مَالِكُ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ فِي كِتَابِ اللِّبَاسِ .

(٢٤٥) جزء من الحديث السابق الذي رواه مالك في الموطأ : « إِنَّكَ أَنْ تَذَرَّ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ »

وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز . باب : رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد

ابن خولة . ومسلم في كتاب الوصية . باب : الوصية بالثلث .

(٢٤٦) الآية ١٠ من سورة الزمر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِ الْلَّهَ قَدْ أَوْعَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ » (٢٤٧) ومقدار النيات لا يعلمها إلا المجازي عليها روي أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء ، ولا دليل فيه أيضاً ، إذ ليس على عمومه للعلم الحاصل بأن طائفة من أغنياء المسلمين كعبد الله بن عوف وعثمان بن عفان يدخلون الجنة قبل كثير من الفقراء وأنهم أفضل من أبي ذر ، وأبي هريرة ، ولأن السبق إلى الجنة لا يدل على زيادة الدرجات فيها وكذلك ما روي من كون الفقراء أفضل أهل الجنة ، لا دليل لهم فيه ، إذ ليس لهم فيه في الحديث أنهم أكثر أهل الجنة وأفقرهم ، وإنما كانوا أكثر أهل الجنة ، لأن الفقراء في الناس أكثر من الأغنياء ، فالمحمودون منهم أكثر من المحمودين من الأغنياء ، وليس الكلام في أي الطائفتين أكثر ، وإنما هو في أيهما أفضل ، أي أكثر ثواباً . وقد بينا وجه كثرة الثواب في ذلك ، وأقوى ما يحتج به من ذهب إلى أن الفقر أفضل من الغنا ، هو أن الفقراء أيسر حساباً وأقل سؤالاً ، إذ لا بد أن يسأل صاحب المال من أين كسبه ؟ وهل أدى الحق الواجب عليه فيه أم لا ؟ ويسأل أيضاً عن تنعمه فيه بالمباح من المطاعم والملابس ، بنص قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٢٤٨) وقول النبي عليه السلام لأصحابه : « لَتُسْأَلُنَّ عَن نَّعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ » . في طعام صنعته لهم أبو الهيثم بن التيهان . خبز شعير وماء مُسْتَعَذَّب (٢٤٩) . وهذا لا حجة لهم فيه أيضاً ، لأن السؤال عن ذلك كله لا

(٢٤٧) رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في مستدركه عن جابر بن عمتيد كما في الجامع الصغير . والمقصود بالحديث هو عبد الله بن ثابت الذي تجهز للغزو مع الرسول ، فأدركه أجله قبل خروجه للغزو . (٢٤٨) الآية : ٨ من سورة العصر .

(٢٤٩) ورد في الموطأ أنه من بلاغات مالك . وذكره في باب : ما جاء في الطعام والشراب . وأخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الأشربة . باب : جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه .

يضرهم إذا أتوا بالبراءة منه . بل يؤجرون على ما يذكرونه من فعل الواجب عليهم فيه ، ولا خفاء في أن من وجب لله عليه شيء فُسئِلَ هل عمله أم لم يعمله ؟ فوجد قد عمله ، أفضل ممن لم يحب عليه ، ولا سئِلَ عنه لأنه يؤجر على ما عمل من الواجب ، كما يؤجر على ما عمل من التطور . وإنما توقف على المفاضلة بين الفقر والغنى من لم يفصل أحدهما على صاحبه والله أعلم . من أجل أن لكل طائفة منها معنى تؤجرُ عليه دون الأخرى والأجور في ذلك على قدر النيات في ذلك المعنى ، ولا يعلم قدرها إلا المجازي عليها فوجب الوقوف عن ذلك ، لاحتمال أن يؤجر الفقير على معنى واحد ، لقوة نيته فيه أكثر مما يؤجر الغني على معان كثيرة ، لضعف نيته فيها . وهذا صحيح مع التعيين فلا يصح أن يقال : إن أجر فلان في غناه لكثرة ما يفعل منه من الخير ، أكثر من أجر فلان في فقره ورضاه بما قسم الله له من ذلك ، ولأن أجره في فقره ورضاه بما قسم الله له منه أكثر من أجر فلان في غناه على ما يفعل منه من الخير ، وأما في الجملة ، فالغنى أفضل من الفقر لما بيناه من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه السلام . وأما من فضل الكفاف على الفقر والغنا ، فلا وجه له في النظر والله أعلم . وأما الفقير الذي لا يقدر أن يقوم بما يحتاج إليه حتى يسأل ، فالغني أفضل منه قولاً واحداً والله أعلم . لقول النبي عليه السلام : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » (٢٥٠) لأن اليد السفلى هي السائلة ، والعليا النافقة وقد استعاذ النبي عليه السلام من الفقر المُنسى ، كما استعاذ من الغني المطغي . وبالله التوفيق .

### حكاية عن عمر بن عبد العزيز فيما

يتشرف به الرجل من مناقب سلفه

وسمعت مالكا يذكر أن عمر بن عبد العزيز قام إليه رجل فذكر

(٢٥٠) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عمر . وتام الحديث كما في البخاري : « قَالِيْدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُتَّفِقَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ » .

مناقب أبيه ، فقال : شهد بداراً والعقبة وما أشبه ذلك ، ثم قام إليه رجل آخر من أهل الشام ، فقال : إن أباه شهد الزاوية ، وكان مع الحجاج بن يوسف ، فقال عمر : كم من شيء يفرح به صاحبه ، وهو عليه وبأل يوم القيامة ، ثم قال عمر :  
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماءٍ فعادا بعده أبنوالا

قال محمد بن رشد : هذا كما قال رضي الله عنه إن الرجل إنما يتشرف بمناقب أبيه على الحقيقة ، ويجب أن يفرح بها إذا كانت مما يُقرب به إلى الله تعالى لأنه يرجو أن يلحقه الله بدرجةه ليتقر به عينه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ (٢٥١) وبالله التوفيق .

### في تحفظ الرجل بدينه

وسمعته يذكر أن رجلاً من الحكماء قال : ما كنت لاعباً لا بداً أن تلعب به ، فلا تلعب بدينك .

قال محمد بن رشد : المعنى في هذا إنه لا ينبغي لأحد أن يسامح أحداً في شيء من دينه إن لم يكن عليه في مسامحته فيه إثم ، وإن سامحه في ماله أو فيما هو . . . (٢٥٢) وذلك أن يصبح الرجل صائماً متطوعاً فيريده رجل من الفقراء ، في صنيع يصنعه ، فقد قال مطرف : إنه إن حلف عليه بالطلاق والعق ليفطرن فأعنته ، ولا يفطر وإن حلف هو فليكفر ، ولا يفطر ، وإن عزم عليه أبواه أو احدهما في الفطر فليطعمهما وإن لم يحلفا عليه ، إذا كان ذلك رقةً منهما عليه لاستدامة صومه . وقد مضى الكلام على هذه

(٢٥١) سورة الطور - الآية : ٢١ .

(٢٥٢) بياض بالأصل ، ومحوب ق ١ وق ٣ .

المسألة في رسم الشريكين من سماع ابن القاسم من كتاب الصيام . وبالله التوفيق .

### في الارتزاق من الصدقات

قال مالك : كان أرزاق عمال المدينة من الصدقات ، وكان أبو بكر بن محمد يذكر إنما هي غفلة ، وفرض له رزقه سبعة وثمانين ديناراً وثلاث ديناراً من فذك .

قال محمد بن رشد : قوله : كان أرزاق عمال أهل المدينة من الصدقات ، معناه والله أعلم ، أن الأموال من الصدقات وغيرها كانت مختلطة . فإذا ارتزق منها وهي مختلطة كان بعض رزقه من الصدقات إذا لم يخرج في غيرها من وجوه الصدقة عوض ما أعطي منها واستجازه ذلك غفلة كما قال أبو بكر بن محمد ، إذ لا يتحقق السلامة من ذلك ، ويحتمل أن يكون إنما كانوا يرزقون من الصدقات ويتأويل أنهم كانوا أمهر عمالاً ينظرون في جميع الأمور ، من الصدقات وغيرها ، وأما لو لم يكن لهم نظر عليها ولا عمل فيها لما جاز أن يرزقوا منها ، لأن الصدقات ، إنما هي لمن فرضها الله لهم في كتابه بقوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٢٥٣) لا يجوز أن يخرج عنهم إلى غيرهم . والأمراء والكتّاب والعمال وجبة الأموال ، إنما يرزقون من بيت المال . وبالله التوفيق .

### في كراهية طول الكمين

قال ابن القاسم : بلغني أن عمر بن الخطاب قطع كُم رجل إلى قدر أصابعه بشفرة ، ثم أعطاه فضل ذلك ، وقال له : خذ هذا فاجعله في حاجتك .

قال الإمام القاضي : إنما فعل عمر بن الخطاب هذا ، لأنه رأى

أن الزيادة في طول الكمين على قدر الأصابع مما لا يحتاج إليه ، فرآه من السرف ، وخشي أن يدخل عليه منه عجب ، وفي مثل هذا قالت عائشة : ما أَخَافُ عَلَى الرَّجُلِ إِلَّا مِنْ أَطْرَافِهِ إِذْ مَرَّ عَلَيْهَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مَقْلُصَةٌ مَشْمُورَةُ الْكَمِينَ عَلَى مَا مَضَى فِي أَوَّلِ السَّمَاعِ . وقد تكلمنا على ذلك هنالك . والله الموفق .

### فيما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شظف العيش

وحدثني ابن القاسم عن مالك عن عمر بن الخطاب قال وهو بمكة لقد رأيتني ومالي من طعام غير أن خالات لي كنَّ يحفنَّ حفنة حفنة من زبيب .

قال محمد بن رشد : هذا من معنى ما تقدم القول فيه قبل هذا فلا معنى لإعادته وبالله التوفيق .

### في كراهية طول الرداء

قال مالك : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز على اليمن ، وأنه ارتدى ببرد ، وكانت طويلة فأنجرت من خلفه ، فقبل له : ارفع ارفع ، فرفع فأنجرت بين يديه . قال : هكذا الشيء يجعل بغير قدره .

قال محمد بن رشد : إنما قيل له : أرفع لما أنجرت خلفه ، لقول النبي عليه السلام : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا » (٢٥٤) فطول الرداء مكروه ، مخافة أن يخفل عنه فيجره من خلفه . وقد

(٢٥٤) رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة ورواه مسلم عن أبي هريرة أيضاً هكذا «إن الله لا ينظر إلى من يجرُّ إزاره بطراً» وروى الخمسة عن ابن عمر : «من جرَّ ثوبه خيلاء ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة» .

جاء النهي عن ذلك لمن فعله بطراً فالتوقي من ذلك على كل حال من الأمر الذي ينبغي . وبالله التوفيق .

### في تفسير وَقُدُورِ رَاسِيَّاتٍ

وسئل مالك عن تفسير قُدُورِ رَاسِيَّاتٍ (٢٥٥) قال لا تحمل ولا تحرك . بدليل قوله : ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾ (٢٥٦) قال مالك : يريد أثبتها . وسئل مالك عن تفسير كَالْجَوَابِي قال كالجوبة من الأرض فيما أرى .

قال محمد بن رشد : تفسير مالك للقُدُورِ الرَّاسِيَّاتِ التي لا تحمل ولا تحرك بدليل قوله : ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾ أثبتها تفسير صحيح نحو تفسير السدى لأنه قال في راسيات : معناه ثابتات في الأرض عظام تنقر من الجبال بأثافيها ، فلا تحول عن أماكنها وقال مجاهد في تفسير قوله : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي ﴾ معناه : وصحاف كالحياض ، وهو نحو تفسير مالك في هذه الرواية ، وقوله عز وجل في أول الآية : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ ﴾ يعملون له ما يشاء من مساجد . وقيل من مساجد وقصور وقوله : ﴿ وَتَمَائِيلٍ ﴾ يُرِيدُ تصاوير من نحاسٍ ولم تكن الصور يومئذ . وروي أن سليمان أمر الشيطان ببناء بيت المقدس فقالوا له زوبعة الشيطان وله عين في جزيرة في البحر يردّها كل سبعة أيام ، فأتوها فنزحوها ، ثم صبوا فيها خمراً فجاء لورده ، فلما أبصر الخمر قال في كلام له : ما عليك ، إنك إذا شربك صاحبك تظهرين عليه عذره في أساجيع له لا أذوقك اليوم ، فذهب ثم رجع لظماً آخر فلما رآها قال كما قال أول مرة ثم ذهب ولم يشرب حتى جاء لظماً لإحدى وعشرين ليلة ، فقال : ما علمت أنك لتذهبن الهم في سجع له ، فشرب منها فسكر ، فجاؤوا إليه فأروه خاتم

(٢٥٥) سورة سبأ الآية : ١٣ .

(٢٥٦) سورة النازعات الآية : ٣٢ وأول الآية ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

شجرة فانطلق معهم إلى سليمان ، فأمرهم بالبناء فقال زوبعة : دلوني على بيض الهدهد ، فدل على عشه ، فأكب عليه جمجته ، يعني زجاجة ، فجاء الهدهد فجعل لا يصل إليها ، فانطلقت ، فجاء بالماس الذي يثقب به الياقوت ، فوضعه عليه فقط الزجاجة نصفين ، ثم ذهب ليأخذه ، فأزعج بالماس إلى سليمان ، فجعلوا يستعرضون الجبال ، كأنما يخطون في نواحيها في نواحي الجبال في الطين قال : **أَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا أَي تُوْحِيدًا** وقال بعضهم : لما نزلت لم يزل إنسان منهم قائماً يصلي . قال : **﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾** (٢٥٧) أي أقل الناس المؤمن .

### في رقية البثرة الصَّغيرة

#### مخافة أن تعظم

قال مالك : بلغني أن عائشة كانت ترى البثرة الصغيرة في بدنها فتلح عليها بتعويد ، فيقال لها : إنها صغيرة ، فتقول : إن الله يعظم ما يشاء من صغير ويصغر ما يشاء من كبير .

قال محمد بن رشد : فعل عائشة هذا مطابق لما توارثت به الآثار عن النبي عليه السلام . من ذَلِكَ حَدِيثُ عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهِ وَجَعٌ قَدْ كَادَ أَنْ يُهْلِكَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ : أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ . قَالَ : فَقُلْتُ ذَلِكَ ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُ بِهَا أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ » (٢٥٨) وحديث رسول الله صلى الله عليه

(٢٥٧) الآية ١٣ من سورة سبأ .

(٢٥٨) رواه مالك في الموطأ عن عثمان بن أبي العاص . في باب : التعوذ والرقية في المرض . وأخرجه أبو داود في كتاب الطب . باب : الرقى . والترمذي في كتاب الطب . باب : حدثنا إسحاق بن موسى . وقال أبو عيسى ، هذا حديث حسن صحيح .

وسلم كَانَ إِذَا أَشْتَكَى يَقْرَأُ بِالْمُعَوَّذَاتِ عَلَى نَفْسِهِ قَالَتْ : فَلَمَّا أَشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَأَمْسَحُ عَلَيْهِ بِيَمِينِهِ ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا (٢٥٩) . ولا يكون التعويد والرقية في المرض ، إلا بكتاب الله على ما جاء في ذلك عن النبي عليه السلام . واختلف في رقية أهل الكتاب ، فأجاز ذلك الشافعي إذا كانت بكتاب الله لحديث يحيى بن سعيد عن عمر عن عائشة ، أن أبا بكر الصديق دخل عليها يوماً وهي تشتكي ، ويهودية ترقئها فقال أبو بكر ارقئها بكتاب الله . وكره ذلك مالك ، إذ لا يدري أهل ترقئ بكتاب الله أو بغير ذلك مما يضاهاه السحر؟ وقوله من طريق النظر أظهر والله أعلم .

وقد مضى في رسم الصلاة الأول من سماع أشهب من كتاب الصلاة القول في تعليق التمام على المريض وعلى الصحيح مخافة المرض مستوفى فلا وجه لاعادته والله أعلم .

### في صفة نعل النبي عليه السلام

وسئل مالك عن نعل النبي عليه السلام التي رآها كيف حدوها؟ قال : رأيتها إلى التدوير ما هي وتخصيرها في مؤخرها وهي مخصرة ومعقبة من خلفها قلت : كان لها زمامان . قال : ذلك الذي أظن ، قال : وكانت عند آل ربيعة المخزوميين من قبل أم كلثوم أمهم . وسمعت مالكا يذكر أن عند آل عمر بن الخطاب فراش من شعر ، وجرس وكان ذلك الفراش لحفصة قلت له : ما قصة الجرس قال لا أدري إلا أنه بلغني كذلك .

(٢٥٩) أخرجه مالك في الموطأ عن عائشة . باب : التعوذ والرقية في المرض ، والبخاري في كتاب فضائل القرآن . باب : فضل المعوذات . ومسلم في كتاب السلام باب : رقية المريض بالمعوذات والنفث .

قال محمد بن رشد : ليس في هذه الحكاية ما يشكل فتكلم عليه حامي الحرمين الذي سئل عن قصته فقال : لا أدري والأجراس كانت تعلق في أعناق الإبل لتعرف مواضعها بأصواتها إن شددت أو ضلّت وتأول مالك أنهم إنما كانوا يعلقونها عليها من أجل العين وبوب على ذلك في موطأه « باب في نزع المعاليق والجرس » وأدخل عليه ما حدّثه عبدُ الله بن أبي بكر عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري أخبره أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض غزواته ، قَالَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَالنَّاسُ فِي مَقِيلِهِمْ : لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ (٢٦٠) .

فرأى مالك الأجراس داخلة في عموم ما أمر النبي عليه السلام بقطعه من أعناق الإبل ، وتأول أن ذلك إنما كانوا يفعلونه من أجل العين ، وتابعه على تأويله جماعة من أهل العلم ، فلم يجيزوا أن يعلق على الصحيح من بني آدم ولا من البهائم شيء من العلائق خوف نزول العين .

وقد مضى الكلام مستوفى على هذا المعنى في رسم الصلاة الأول من سماع أشهب من كتاب الصلاة . ومعنى السؤال في هذه الحكاية عن قصة الجرس ، إنما هو لِمَ كانوا يحبسونه ويرفعونه ؟ وقد جاء النهي في استعماله فلم يجبه على سؤاله . والجواب فيه أن استعماله وإن كان لا يجوز ففي حبسه منفعة ، وهو أنه يذكر به العهد القديم ، ويتراحم من أجله على من قد مات من السلف الكريم . والله أعلم .

(٢٦٠) روى مسلم في صحيحه ، عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري أخبره ، أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره ، قال : فأرسل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ فِي النَّاسِ فِي مَبِيتِهِمْ : « لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ » قال مالك : أرى ذلك في العيش .

### خبر في منقبة مصعب بن عمير

قال مالك : إن مصعب بن عمير ، كانت عليه جبة من صوف مرقوعة بفروة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى المدينة يدعو الناس إلى الإسلام ، ويعلمهم القرآن وأنه حين قتل كانت تلك الجبة عليه .

قال محمد بن رشد : مصعب هذا القرشي العبدري من بني عبد الدار بن قصي كان من جلة الصحابة وفضلائهم بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، كان يُدعى القاريء وقيل : إنه أول من دخل المدينة من المهاجرين ، وأول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة ، ثم قدم بعده المدينة عمرو بن أم كلثوم ، ثم عمار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود ، ويلال ، ثم أتى عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة ، وكان مصعب بن عمير هذا فتى مكة شاباً وجمالاً ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول : « مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَةً وَلَا أَرْقَ حُلَّةً وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَبَلَّغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ بْنِ الْأَرْقَمِ ، فَأَسْلَمَ ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمَّهِ وَقَوْمِهِ وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًّا فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فَأَخْبَرَ بِهِ قَوْمَهُ وَأُمَّهُ ، فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوساً عِنْدَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مُهَاجِراً وَاسْتَشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِلَّا نَمْرَةٌ ، كَانُوا إِذَا غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطُّوا بِهَا رِجْلَيْهِ ، خَرَجَ رَأْسُهُ وَهِيَ الْجُبَّةُ الْمَرْقُوعَةُ بِالْفُرْوَةِ . عَلَى مَا قَالَه فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطُوا بِهَا رَأْسَهُ وَيَجْعَلُوا عَلَيَّ رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ (٢٦١) . وبالله التوفيق .

### في الصيام قبل الاستسقاء

وسئل مالك عن الصيام قبل الاستسقاء مما يعمل به ، فقال : ما سمعت إنكاراً على من عمله .

قال الامام القاضي : الصيام قبل الاستسقاء مما لم يأت به أثر عن النبي عليه السلام ولا عن الخلفاء الراشدين المهديين بعده ، وإذا هو أمر أحدثه بعض الأمراء استحسنة كثير من العلماء فعله موسى بن نصير بإفريقية ، حين رجع من الأندلس فاستحسنة الخزامي وغيره من علماء المدينة . وإلى هذا ذهب ابن حبيب فقال : استحب للإمام أن يأمر الناس قبل بروزه للمصلى بهم أن يصبحوا صياماً يومهم ذلك . ولو أمرهم أن يصوموا ثلاثة أيام آخرها اليوم الذي يبرزون ، كان أحب إلي والمعلوم من مذهب مالك انكارُ هذه الأمور المحدثات كلها ، من ذلك أنه كره في سماع ابن القاسم القراءة في المسجد والاجتماع يوم عرفة بعد العصر في المساجد للدعاء والدعاء عند خاتمة القرآن ، فيحتمل ما في هذه الرواية من قوله : ما سمعت إنكاراً على من عمله ، أن يكون انتهى كلامه ، أي مالك إلى قوله : ما سمعت أي ما سمعت أن ذلك يفعل ، ويكون إنكاراً على من عمله من قول ابن القاسم أخبر أن مالكا أراد بقوله : ما سمعت الإنكار على ، فيكون ذلك مطابقاً لمذهب ابن القاسم ، ويحتمل أن يكون الكلام كله من قول مالك فيقتضي جواز ذلك عنده إذ قد نفى أن يكون سمع الإنكار على من عمله . والأول من التأويلين أولى . والله أعلم .

وقد مضى هذا كله في رسم نذر سنة من سماع ابن القاسم من كتاب

(٢٦١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة في ترجمة مصعب بن عمير المتوفي شهيداً في غزوة أحد . ج . ٣ . ص ٤٧١ .

الصيام لتكرّر المسألة هناك . وبالله التوفيق .

### في اتخاذ الإِبِل من مال الله ليحج بها الناس

قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب اتخذ إبلاً من مال الله يعطيها الناس ، يحجون عليها ، فإذا رجعوا ردها إليه .

قال محمد بن رشد : هذا من النظر الصحيح في مال الله ، لأن أولى ما صرف فيه مال الله ما يستعان به على أداء فرائض الله ، فينبغي للأئمة أن يأمنوا في ذلك بفعله . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بَسْتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِذِ »<sup>(٢٦٢)</sup> وقد مضى هذا كله في رسم نذر سنة من سماع ابن القاسم من كتاب الحج لتكرّر الحكاية عن عمر بن الخطاب فيه وبالله تعالى التوفيق .

### ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في زينب زوجته

قال مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه : « أَوْلُكُنَّ يَلْحَقُنِّي أَطْوَلُكُنَّ بَاعاً »<sup>(٢٦٣)</sup> ، قال : فكن يتناولن حتى ينظرن أيهن أطول ؟ حتى هلكت زينب ، وكانت امرأة صناعاً عظيمة الصدقة ، فلما ماتت عرفن أن رسول الله أراد بذلك الصدقة ، وانها قالت : إني أرى عمر بن الخطاب سيبعث إلي بكفني وكانت قد

(٢٦٢)

(٢٦٣) رواه البخاري ومسلم عن عائشة هكذا : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدَاً » ولفظ البخاري : « إن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن له : أينا أسرع بك لحوقاً . قال : أطولكن يداً » .

أعدت لها كَفَنًا فَإِنْ بَعَثَ إِلَيَّ بَشِيءً فَتَصَدَّقُوا بِهِ . قَالَ : وَكَانَ عَمْرُ  
أُولَئِكَ مِنْ جَعَلٍ عَلَيْهَا هَذَا النَّعْشَ الَّذِي جَعَلَ عَلَى النِّسَاءِ سِتْرَهَا بِهِ .

**قال الإمام القاضي :** ويروى أنه قال صلى الله عليه وسلم :  
« أَطْوَلُكُمْ يَدًا أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي » (٢٦٤) والمعنى في ذلك سواء ، لأنه أراد  
طول اليد والباع بالصدقة ، وذلك من الاستعارات البليغة الحسنة ، وفيه فضل  
الصدقة وعلم من أعلام النبوة لأنه أخبر بمن يموت بعده أولاً من نسائه فكان  
كما قال ، ولم يصرح باسمها لما كان عليه من الخلق الكريمة ، مخافة أن  
يعلمها بما تشفق منه وتكرهه ، لأن المؤمن يكره الموت لشدته ، ويخاف  
تعجيله ، ويود تأخير رجاء الزيادة من الأعمال الصالحات . وقد قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخوين اللذين تأخرت حياة أحدهما  
فذكرت فضيلة الأول عند رسول الله فقال : « أَلَمْ يَكُنِ الْآخِرُ مُسْلِمًا ؟ فَقَالُوا :  
بَلَى كَانَ لَا بَأْسَ بِهِ . قَالَ : فَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَاةِ  
كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذِبٍ غَمْرٍ يَفْتَحُهُ فِيهِ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا تَرَوْنَ  
ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرْنِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ » (٢٦٥) . وقد روي  
عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه قال  
شريح : فأتيته عائشة فقلت : يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة يذكر عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أن كان ذلك فقد هلكتنا قالت : وما  
ذلك ، قلت : من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه  
لقاءه فبينت عائشة رضي الله عنها أن ذلك إنما هو عند المعاينة وحضور الموت  
وحين لا تقبل توبة التائب أن لم يتب قبل ذلك وزينب هذه بنت جحيش تزوجها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة وقيل في سنة ثلاث

(٢٦٤) مؤدَّى هذه الرواية والتي قبلها واحد ، كما قال المؤلف .

(٢٦٥) تقدم الكلام على هذا الحديث انظر التعليق رقم ١١٩ .

وكانت قبله تحت زيد بن حارثة الذي كان تَبْنَاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الآية وذلك ان المنفقين تكلموا في ذلك لما تزوجها فقالوا : تزوج حليلة ابنه وقد كان ينهى عن ذلك فأنزل الله هذه الآية انزل قوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الآية وقال : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢٦٦) . فدعي من يومئذ زيد بن حارثة ، وكان يدعى زيد بن محمد ، وكانت زينب تفخر على نساء النبي عليه السلام بأن الله زوجه إياها تقول : إن آباءكن أنكحوكن والله أنكحني من فوق سبع سموات . وتوفيت سنة عشرين من خلافة عمر . وهي السنة التي افتتحت فيها مصر . وقيل توفيت في سنة إحد وعشرين ، وهي السنة التي افتتحت فيها الاسكندرية والله أعلم .

### في الاختيار للذبائح

قال مالك ولقد أخبرني شيخ من بني عبد الأشهل قال : أدركت الناس يختارون لذبائحهم .

قال محمد بن رشد : وقعت هذه الحكاية في رسم اغتسل من سماع ابن القاسم من كتاب الصيد والذبائح ساقها فيه على ان الاختيار للمرأة إذا اضطرت الى ذكاة ذبيحة وعندها نصراني أن تذكيها ولا تكلها إلى النصراني . ووجه اختيار أهل الفضل للذبائح صحيح ، لأن الفاسق وإن كانت تؤكل ذبيحته ، لكن لا ينبغي أن يؤتمن ابتداء على الذبح ، مخافة أن يقصر فيما يلزمه فيه ، فيكتم ذلك ، ولا يعلم به . وذلك مأمون من أهل الفضل .

وقد مضى في الرسم المذكور من الكتاب المذكور ، بيان القول فيمن تجوز ذبيحته ومن لا تجوز ومن تكره .

## فيما يلزم من الشكر على الطعام والشراب

قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب أتى قُبَاء فاستسقى فسُقِيَ عَسلاً ، فقال : من يأخذه يشكر عليه ، فقال رجل : أنا فأعطاه إياه .

قال الإمام القاضي : معنى قول عمر رضي الله عنه من يأخذه يشكر عليه أي من يأخذه يشكر الله تعالى على النعمة به حق شكره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الطعام الذي صنعه لهم أبو الهيثم بن التيهان والماء الذي استعذبه لهم : « لَتُسْأَلُنَّ عَنْ نَعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ » (٢٦٧) ، أي هل أدبتم الواجب عليكم من الشكر لله تعالى ، وبالله التوفيق (٢٦٨) .

## في إجابة عبد الله بن الأرقم عن النبي عليه السلام

قال مالك : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه كتاب ، فقال : « مَنْ يُجِيبُ عَنِّي ؟ » فقال ابن الأرقم : أنا . فأجاب عنه ، فأتى به النبي فأعجبه وأنفذه ، فكان عمر يعجبه ذلك ويقول : أصاب ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل في قلبه ، حتى لما ولي استعمله على بيت المال . فقال عمر : ما رأيت أحداً أخشى لله منه ، حاشى رسول الله .

قال الإمام القاضي : عبد الله بن الأرقم هذا القرشي الزهري أسلم

(٢٦٧) تقدمت الإشارة قريباً إلى مخرج الحديث .

(٢٦٨) في نسختي ق ١ وق ٣ والله أعلم .

عام الفتح ، وكتب للنبي عليه السلام ، ثم لأبي بكر ، واستكتبه أيضاً عمر ، واستعمله على بيت المال وعثمان بعده أيضاً سنين حتى استعفاه من ذلك فأعفاه . وروي أنه أعطاه ثلاثمائة درهم ، فأبى أن يأخذها . وقال : إنما عملت لله ، وإنما أجزى على الله . وروي ابن وهب عن مالك قال : بلغني أن عثمان أجاز عبد الله بن الأرقم ، وكان له على بيت المال بثلاثين الفاً ، فأبى أن يقبلها . وروي أنه بلغ من أمانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره أن يطبعه ويختمه من غير أن يقرأه<sup>(٢٦٩)</sup> النبي عليه السلام لأمانته عنده .

### في أشد البلاء ما هو ؟

قال مالك : كان يقال : من أشد البلاء الإملاء في المعاصي . قال محمد بن رشد : هذا بين شهد له قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾<sup>(٢٧٠)</sup> فلا شيء أشد على العبد من الازدياد في الإثم الموجب لسخط الرب ، لأن العبد إذا ابتلي في ماله أو جسمه ، إن رضي بقدر الله وصبر واحتسب ، أجز ، وإن سخط ولم يصبر ولا احتسب ثم مع ذهاب ماله وفقدان صحته ، لم يتكرر عليه الإثم كما يتكرر على من أملي له في المعاصي والله التوفيق .

### في إقادة الإمام من نفسه

قال مالك : بلغني أن أبا بكر لما تولى أمر الناس ضرب رجلاً ثم ندم فقال : ما لي وما لهذا ؟ لأردنها عليه ، فلما سمعت عائشة أرسلت إلى عمر ، فجاءه فقال ما لك ؟ قال : قد ضربت رجلاً وقد والله أعلم لأن الله قال فيها : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾<sup>(٢٧١)</sup> ،

(٢٦٩) في ق ١ . و ٣ ما يقرأه .

(٢٧٠) سورة آل عمران . الآية : ١٧٨ .

كنت مُعافى من هذا أن أضرب أحداً أو أشتمه . فقال له عمر :  
كذلك الإمام . قال : وما المخرج ؟ قال : تأتي الرجل فتسأله أن  
يجعلك في حل ، فأتاه فأحله .

قال محمد بن رشد : المعنى في هذا أنه ضربه ادباً بالاجتهاد في  
غير حد ، فخشى أن يكون قد أخطأ في الاجتهاد ، فتجاوز في الضرب ،  
وضربه فيما كان يجب التجاوز فيه ، وترك الأدب بالضرب . وهذا على طريق  
التواضع والورع والخوف لله والتنحي من المتشابه ، لا على سبيل الوجوب ،  
لأن للإمام أن يؤدب الجناة بالضرب ، كما يؤدب الرجل عبده وأمه ، وكما  
يؤدب الرجل زوجته بالضرب ، فلا يكون عليه في ذلك حرج ، لقوله عز  
وجل : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ  
وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ (٢٧١) فالإمام مأجور على اجتهاده وإن أخطأ فيه . قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ ، وَإِنْ اجْتَهَدَ  
فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ » (٢٧٢) . وبالله التوفيق .

### في اختلاف قدر الإطعام باختلاف

#### البلدان

سمعت مالكا يقول : إن أنس بن مالك كانت له مكيلةٌ  
بالعراق ، فأطعم عشرة ، ثم جاءها هنا ، يريد المدينة فكال بها  
فأطعم عشرين .

قال محمد بن رشد : يريد أنه أطعم بالمدينة عشرين مسكيناً من

(٢٧١) سورة النساء . الآية : ٣٤ وأول الآية : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ .

(٢٧٢) رواه أحمد في مسنده بلفظ آخر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا  
قضى القاضي فاجتهد فأصاب ، فله عشرة أجور ، وإذا اجتهد فأخطأ ، كان له  
أجر أو أجران الحديث : ٦٧٥٥ ورواه مسلم في كتاب الأفضية عن عمرو بن  
الماص .

(٢٧٣) سورة المائدة . الآية : ٨٩ .

المكيلة التي كان يطعم منها بالعراق عشرة مساكين ، وذلك في كفارة اليمين .  
 وذلك يختلف باختلاف عيش أهل البلد وذلك حجة لقول مالك في المدونة  
 وأما عندنا هاهنا فليكفر بمد النبي عليه السلام في الأيمان بالله . وأما أهل  
 البلدان فإن لهم عيشاً غير عيشنا ، فأرى أن يكفروا بالوسط من عيشهم ، ولا  
 ينظر في البلدان إلى مد النبي عليه السلام فيجعله مثل ما جعلته في  
 المدينة (٢٧٤) .

### في السبع المثاني

قال : وسمعت مالكا يقول : السبع المثاني : أم القرآن .

قال محمد بن رشد : قول مالك في السبع المثاني هي أم القرآن هو  
 قول جمهور العلماء . وروي عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ  
 آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ (٢٧٥) ، قال : فاتحة الكتاب . قيل لها ذلك ، لأنها  
 تُتلى في كل ركعة . وقد قيل في فاتحة الكتاب : إنها السبع المثاني والقرآن  
 العظيم . وذلك مروى عن ابن عباس وبين من حديث أبي بن كعب في الموطأ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ  
 لَحِقَهُ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ ، يُرِيدُ الْخُرُوجَ  
 مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ  
 سُورَةَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَهَا (٢٧٦) فَجَعَلْتُ أَبْطِئُ فِي  
 الْمَشْيِ ، رَجَاءَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي ، قَالَ :  
 كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ (٢٧٧) ؟ قَالَ : بِقِرَاءَةِ الْحَمْدِ لِلَّهِ حَتَّى آتَيْتَ عَلَى آخِرِهَا  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي

(٢٧٤) في نسختي ق ١ و ٣ وبالله تعالى التوفيق .

(٢٧٥) سورة الحجر . الآية : ٨٧ .

(٢٧٦) الذي في بعض نسخ الموطأ : ولا في القرآن مثلها قال أبو : فجعلت أبطئ .

(٢٧٧) الذي في بعض النسخ : إذا افتتحت الصلاة ، قال : فقرأت الحمد .

وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمُ<sup>(٢٧٨)</sup>. على ما جاء في حديث أبي قال : المعنى في ذلك ، أنها تعدل القرآن في الثواب ، كما تقول قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثلث القرآن في الثواب .

وقد مضى الكلام في معنى ذلك مجرداً في رسم يتخذ الخرقه لفرجه من كتاب الصلاة من سماع ابن القاسم . وقيل لها سبعٌ ، لأنها سبع آيات ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ آية . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية . مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ آية . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ آية . إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ آية . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية . غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آية . ومن جعل بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آية من الحمد ، وأوجب قراءتها في الصلاة . وهو مذهب الشافعي لم يعد الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ . وبالله التوفيق<sup>(٢٧٩)</sup> .

### في إقامة قبلة مسجد النبي عليه السلام

قال مالك : سمعت أن جبريل هو الذي أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد مسجد النبي عليه السلام مسجد المدينة .

قال محمد بن رشد : يريد بقوله : إنه أقام له قبلة المسجد ، أي أعلمه بحقيقة ، سمت القبلة ، وأراه إياها وذلك والله أعلم حين حولت القبلة إلى الكعبة . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة ستة عشر شهراً يصلي إلى بيت المقدس ، ثم حولت القبلة إلى المسجد الحرام ، قبل بدر بشهرين . قال عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ إلى

(٢٧٨) أخرج البخاري مثل هذه القصة عن أبي سعيد المعلى في كتاب التفسير « باب ما جاء في فاتحة الكتاب » .

(٢٧٩) ذكر في ق ١ عقب مسألة السبع المثاني مسألة تحت عنوان : فيما يُستحب للعالم أن يدعو به ، ثم مسألة : إقامة قبلة النبي صلى الله عليه وسلم . ولم تذكر المسألتان لا في الأصل ولا في ق . ٣٣

قوله : ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٢٨٠) . فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته إلى الكعبة ، وأقام له جبريل قبلة مسجده ، وأراه السميت إليها ، فقبلته قبالة الميزاب ، على ما قاله في رسم الصلاة الثاني من سماع أشهب من كتاب الصلاة . ولم يختلف في أن صلاته صلى الله عليه كانت إلى بيت المقدس ، حتى حولت القبلة وإنما اختلف في صلاته بمكة قبل قدومه المدينة ، فروي أنها كانت إلى الكعبة ، وروي أنها كانت إلى بيت المقدس ، وأنه كان يصلي إلى بيت المقدس ، الكعبة بين يديه وبالله التوفيق .

### في كراهية ضرب الرجل امرأته

قال مالك : قال صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن أرى الرجل ثامراً فريض عصبه رقبته على امرأته يقاتلها » (٢٨١) .

قال الإمام القاضي : هي قوله يقتبها أي يكثر منازعتها وضربها وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مطابق لما أنزل الله في كتابه العزيز من قوله : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ لأن من أكثر من ضرب امرأته لم يعاشرها بالمعروف كما قال الله عز وجل . وقال صلى الله عليه وسلم في خطبة بعرفة : « فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوْنَ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (٢٨٢) .

(٢٨٠) سورة البقرة . الآية : ١٤٤ .

(٢٨١) لا تكاد تتبين الفاظ هذا الحديث نظراً للتحريف الواقع في نصه . وتوجد أحاديث أخرى تتضمن النهي عن ضرب المرأة فلترجع في مظانها كمسند أحمد وسنن النسائي وأبي داوود وابن ماجه .

(٢٨٢) جزء من حديث حجة وداعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأبو داوود بلفظه الطويل ، كما روى بعضه البخاري والترمذي والنسائي .

## في تفسير : إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ وَالْحَضُّ عَلَى مداومة العمل

وسئل مالك عن تفسير : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (٢٨٣) قال : هي قيام الليل ، وهي بلسان الحبشة إذا قام الرجل قالوا قد نشأ فلان . قال وحدثنا مالك قال أبو هريرة : **الْغُدُوُّ وَالرَّوَّاحُ وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجِ وَالْقَصْدُ تَبْلُغُوا** . ف قيل له وما المدلج إلى الصلاة . يعني صلاة الصبح .

قال محمد بن رشد : قول مالك في ناشئة الليل قيام الليل ، مروى عن ابن عباس روي عنه أنه قال : **نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ مَا وَرَاءَ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ** ، وأنه قال : **الصَّلَاةُ بَعْدَ الْعِشَاءِ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ** . وروي مثله عن قتادة . وقال مجاهد : ساعة تسجد من الليل فهي ناشئة ، وسكت مالك عن تفسير بقية الآية فقوله : ﴿هي أَشَدُّ وَطْئًا﴾ . تُقْرَأُ عَلَى وَجْهَيْنِ : وَطْئًا وَوِطْئًا . ف قيل معناه : أثبت في القلب ، وقيل معناه : أشد في تواطىء القلب . وقيل معناه فراغ القلب . وقوله : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ معناه وأصوب قِيلاً . وأصدق في التلاوة . وأجدر ألا يلبس عليك الشيطان تلاوتك . قال : «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» أي فراغاً طويلاً لحوائجك . قال : «وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً» وقول أبي هريرة : **الْغُدُوُّ وَالرَّوَّاحُ وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجِ وَالْقَصْدُ تَبْلُغُوا** ادأبوا على هذه الأعمال ، وهي صلاة الصبح ، وصلاة الضحى والرواح إلى سائر الصلوات في الجماعات ، تبلغوا بها وإن قلت إلى ما تريدون من مرضات ربكم ، يقول ولا تحملوا على أنفسكم بكثرة العمل فتقطعون عنه . يشهد بصحة قوله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا أَكَلْفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ» وكان أحب

العمل إلى رسول الله صلى الله عليه الذي يدوم عليه ما حبه ، وقال : «إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى» (٢٨٤) والله أعلم .

### في رفع اليدين في الدعاء

قال مالك : رأيت عامر بن عبد الله بن الزبير يرفع يديه وهو جالس بعد الصلاة يدعو فقيل له : أترى بذلك بأساً ؟ قال لا أرى بذلك بأساً .

قال الإمام القاضي : إجازة مالك في هذه الرواية لرفع اليدين في الدعاء عند خاتمة الصلاة نحو قوله في المدونة لأنه أجاز فيها رفع اليدين في الدعاء ، في مواضع الدعاء ، كالاستسقاء ، وعرفة ، والمشعر الحرام ، لأن ختمة الصلاة موضع للدعاء . واختلف قوله في المدونة في المقامين عند الجمرتين ، فرآه في كتاب الصلاة من مواضع الدعاء ترفع الأيدي فيهما ولم يره في كتاب الحج الأول من مواضع الدعاء التي ترفع الأيدي فيها . وسئل في رسم يتخذ الخرقه لفرجه من سماع ابن القاسم من كتاب الصلاة عن رفع اليدين في الدعاء ، فقال : ما يعجبني فظاهره خلاف لما في هذه الرواية ولما في المدونة وقد يحتمل أن يتأول ذلك على أنه إنما أراد الدعاء في غير مواضع الدعاء ، ولذلك قال : إنه لا يعجبه رفع اليدين في ذلك .

وقد مضى الكلام على هذه المسألة في رسم المحرم المذكور من كتاب الصلاة ، وفي رسم شك في طوافه منه وبالله التوفيق .

### في ترك الاهتمام بما يأتي

قال مالك : قال عيسى بن مريم : لَا تَحْمِلُوا هَمَّ سَنَةِ عَلَيَّ يَوْمٍ حَسْبُ كُلِّ يَوْمٍ بِمَا فِيهِ .

(٢٨٤) رواه البزار عن جابر بلفظ : «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقِي ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا ظَهْرًا أَبْقَى وَلَا أَرْضًا قَطَعَ» ج . ١ من كشف الخفا للعجلوني ص . ٢٥٧ .

**قال الإمام القاضي :** وصية عيسى بن مريم بما أوصى من هذا حكمة ، إذ لا يدري المهتم بما يحتاج إليه في السنة ، هل يعيش إلى تمام السنة أم لا ؟ فاهتمامه بما يخاف من الموت قبل السنة أكد عليه من الاهتمام بما يحتاج إليه في السنة وباللله التوفيق .

### في أي المواضع أفضل من مسجد النبي عليه السلام للصلاة ؟

وسئل مالك عن الصلاة في مسجد النبي عليه السلام أي المواضع أحب إليك ، قال : أما النافلة ، فمُصَلَّى النبي عليه السلام . وأما الفريضة ، فالتقدم إلى أول الصف أحب إلي .

**قال محمد بن رشد :** استحَبَّ مالك صلاة النافلة في مصلى النبي عليه السلام للتبرك بموضع صلاته ، ورأى للصلاة في ذلك الموضع فضلاً على سائر المسجد . ومن الدليل على ذلك ، أَنَّ عُتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّهَا تَكُونُ الظُّلْمَةَ وَالسَّيْلَ وَالْمَطْرَ ، وَأَنَا رَجُلٌ ضَرِيرٌ الْبَصَرِ ، فَصَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي بَيْتِي مَكَاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلَّى فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : «أَيَّنْ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ ؟» فَأَشَارَ لَهُ إِلَى مَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢٨٥) . فإذا كان ذلك الموضع من بيته بصلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فيه صلاة واحدة أفضل من سائر بيته ، وجب أن يكون الموضع الذي يواظب على الصلاة فيه من مسجده أفضل من سائر المسجد بكثير وإنما قال : إنه يتقدم في الفريضة إلى أول الصف ، يريد إلى أول

(٢٨٥) رواه مالك في الموطأ . باب جامع الصلاة . وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة . باب المساجد في البيوت ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر .

الصفوف ، وهو الصف الأول ، لأن فضل الصف الأول معلوم بالنص من النبي عليه السلام ، فهو أولى مما علم فضله بالدليل ومُصلى النبي عليه السلام من مسجده هو العمود المخلوق قاله ابن القاسم في رسم نذر سنة من سماع ابن القاسم من كتاب الصلاة وبالله التوفيق .

فيما يلزم في الثبوت في مسائل الاجتهاد وتقديم اجتهاد أهل المدينة

قال مالك : وبلغني ان ابن مسعود<sup>(٢٨٦)</sup> كان يُسأل عن المسألة فيفكر فيها شهراً ثم قام فقال : اللهم إن كان صواباً فمن عندك ، وإن كان خطأً فمن عند ابن مسعود يسأل عن الشيء بالعراق ، فيقوم فيه ، ثم يقدم المدينة ، فيسأل ، ثم يجد الأمر على غير ما قال ، فإذا رجع لم يحط رحلته ، ولم يدخل بيته حتى يرجع إلى ذلك الرجل فيخبره بذلك .

قال محمد بن رشد : المسألة التي فُكر فيها شهراً ثم أجاب فيها ، فقال ما قال ، هي مسألة الرجل يموت عن زوجته قبل الدخول وقبل أن يفرض لها هل لها مع الميراث صداق أم لا ؟ وهي مسألة اختلف فيها الصحابة ومن بعدهم فروي أن ابن مسعود سُئل عنها فقال : ما سُئلت منذ فارقت النبي عليه السلام عن شيء أشد علي من هذه المسألة . سألوا غيري ، فترددوا فيها شهراً وقالوا : من نسأل ؟ أنتم جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه البلد ، فقال : سأقول فيها رأيي فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأً فمني . والشيطان أرى لها مهر امرأة من نسايتها لا وكس ولا شطط ، ولها الميراث ، وعليها العدة . فقال معقل بن سنان وفي بعض الآثار معقل بن يسار وفي بعضها أيضاً فقام ناس من أشجع ،

(٢٨٦) هو عبد الله بن مسعود الهذلي أبو عبد الرحمن من أكابر علماء الصحابة . وكان

خادم رسول الله الأمين وصاحب سره . توفي سنة ٣٢ هـ .

فقالوا : نشهد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل الذي قضيت في امرأة منا يقال لها يَرُوع بنت واشق ، قال فرأيت ابن مسعود لم يفرح بشيء مثل ما فرح يومئذ . وقال عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، لا صداق لها . ولها الميراث على ما وقع في الموطن من أن ابنة لعبيد الله بن عمر (٢٨٧) ، كَانَتْ تَحْتَ ابْنِ لَعْبِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَمَاتَ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ، وَلَمْ يُسَمِّ لَهَا صَدَاقًا فَأَبْتَعَتْ أُمُّهَا صَدَاقَهَا وَهِيَ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : لَيْسَ لَهَا صَدَاقٌ ، وَلَوْ كَانَ لَهَا صَدَاقٌ ، لَمْ تُمَسِّكْهُ ، وَلَمْ نَظْلِمَهَا فَأَبَتْ أُمُّهَا أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ ، فَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ (٢٨٨) فَقَضَى أَنْ لَا صَدَاقَ لَهَا ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ (٢٨٩) . فأخذ مالك والليث بن سعيد والأوزاعي بمذهب ابن عمر . وهو قول ابن شهاب ومذهب أهل الحجاز . وأخذ أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن حي بما روي عن ابن مسعود ، وجاء عن النبي عليه السلام في يروع بنت واشق . واختلف قول الشافعي في ذلك ، فروي عنه مثل قول مالك ، وروي عنه مثل قول أبي حنيفة ، وذكر المزني عنه أنه قال : إن ثبت حديث يروع ، فلا حجة لأحد مع السنة ، وإن لم يثبت فلا مهر لها . ولها الميراث . وقال مسروق لا يكون ميراثاً حتى يكون مهراً يريد والله أعلم وجوب المهر لوجوب الميراث . وقد تعلق من ذهب إلى أن الحق عند الله فيما لا نص فيه من مسائل الاجتهاد . وقد يصيبه المجتهد وقد يخطئه بقول ابن مسعود : هذا إن يكن صواباً فمن الله ، وإن

---

(٢٨٧) في الموطن : أن ابنة عبيد الله بن عمر ، وأُمُّهَا بِنْتُ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، كَانَتْ لِخ . . وقد ذكر اسمها في رواية المؤلف مؤخراً ، ويعدُّ عبيد الله بن عمر من شجعان الصحابة وفرسانهم . غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد ، وشهد صفين مع معاوية وقتل فيها سنة ٣ هـ .

(٢٨٨) يعد زيد بن ثابت من كتاب الوحي وممن جمعوا القرآن في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار وكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة . له في الصحيحين ٩٢ حديثاً . توفي سنة ٤٥ هـ وقيل ٥٤ هـ .

(٢٨٩) انظر كتاب النكاح من الموطن . ما جاء في الصداق والحباء .

يكن خطأً فمن ابن مسعود ولا تعلق له في ذلك ، لاحتمال أن يريد إصابة النص إن كان في النازلة نص لم يعلم به ، كحديث يروع بنت واشق في نازلته . والصواب أن كل مجتهد مصيب عند الله تعالى .

وقد بينا هذه المسألة بياناً شافياً في كتاب الأفضية من مختصر كتاب الطحاوي في شرح مشكل الحديث والشيء الذي سُئل عنه بالعراق فقال فيه : ثم قدم المدينة فوجد الأمر بخلاف ما قال ، فلما رجع لم يحط رحلته ولا دخل بيته ، حتى أتى الرجل ، فأخبره بذلك ، هو أنه سُئل عن نكاح الأم بعد الابنة إن لم تمس الابنة ، فأرخص في ذلك فلما قدم المدينة سأل عن ذلك فأخبر أن الأمر بخلاف ما قال ، وأن الشرط إنما هو في الربائب ، لا في أمهات النساء ، فرجع الكوفة ، فلم يدخل منزله حتى أتى الرجل الذي رخص له في ذلك ، فأمره أن يفارق امرأته على ما وقع من ذلك في الموطأ وقد روي إجازة ذلك عن علي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت . وقال به من شذ من العلماء . وله وجهان من التأويل : أحدهما أن يجعل قوله : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ (٢٩٠) عائداً على الربائب وعلى أمهات النساء ، بإضمار أعني إذ لا يجوز في العربية أن يكون اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ . نعت لأمهات الربائب ، وبنات الأمهات ، لأن بنات الأمهات مخفوض بإضافة ، وأمهات الربائب مخفوض بمن ، ولا يجوز أن ينعت بنعت واحد ، ما عمل فيه عاملان . والوجه الثاني أن يجعل قوله ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ شرط لاتصال الكلام ، فيبيح نكاح الأم إذا لم يدخل بالبنات ، ويبيح نكاح الربيبة إذا لم يدخل بالأم ، فالقياس عليها . وبدليل قوله : ﴿ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ إذ لا تكون الربيبة في حجره حتى يدخل بأمرها ، لأن من ذهب إلى هذا يجعل قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ ﴾ كلاماً متصلاً

تاماً ، فيصح رد قوله : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ .  
وهو قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ أَوْ إِلَيْهِمَا جَمِيعاً بِإِضْمَارِ أَعْنِي عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ .  
والذي قال به عامة العلماء وفقهاء الأمصار : مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة ، إن الأم مبهمة لا شرط فيها ، وإن الشرط إنما هو في الرئائب ، فلا يحل نكاح الأم إذا تزوج البنت ، وإن لم يدخل بها هو الصحيح ، لِأَنَّ الظاهر أن الكلام يتم في قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ ويحسن الوقف عليه ثم يتبدأ بقوله : ﴿ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ (٢٩١) الآية .

في ما ذكر من خلاء مسجد النبي عليه

### السلام

قال مالك بلغني أن سعيد بن المسيب قال : خلاء بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، لَمْ يَجْمَعْ فِيهِ مِنْ حِينِ كَانَ : يَوْمَ قُتِلَ عَثْمَانُ ، وَيَوْمَ الْحَرَّةِ ، وَيَوْمَ آخِرِ مَا قَالَ مَالِكُ أَنْسِيَتَهُ .

قال محمد بن رشد : أما قتل عثمان رضي الله عنه وما وقع يوم قتله مما أدى إلى الاشتغال عن إقامة الصلاة في المسجد على العادة ، فهو معروف ، وأما يوم الحرة فإنه كان في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين من الهجرة وذلك أن أهل المدينة خلعوا طاعة يزيد بن معاوية ، وكان القائم بذلك عبد الله بن حنظلة . وكان قد وفده أمير المدينة عثمان بن محمد إلى يزيد بن معاوية فيمن وفد إليه مع بنين ثمانية ، فأعطاه مائة ألف ، وأعطى كل واحد من بنيه عشرة ألف درهم ، سوى كسوتهم وحملاتهم ، فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : أتيتكم من عند رجل والله لو

لم أجد إلا بني هؤلاء ، لجاهدته بهم ، قالوا : سمعنا أنه أجازك وأكرمك وأعطاك ، فقال : قد فعل ، ولكنني ما قبلت ذلك منه ، إلا أن أتقوى به ، عليه وحض الناس ، فبايعوه ودعوا إلى الرضى والشورى ، وأمروا على قريش عبد الله بن مطيع العدوي وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي ، وأخرجوا أمير المدينة ومن كان بها من بني أمية ، فبلغ ذلك ابن عباس وهو بالطائف ، فقال : أميران؟ ، هلك القوم . وكتب مروان إلى يزيد بالذي كان من أمر القوم ، فأمر بقبة فضربت له خارجاً من قصره ، وقطع البعوث على أهل الشام ، وولّى عليهم مسلم بن عقبة ، وبعث أهل المدينة إلى كل ما بينهم وبين أهل الشام ، فصبوا فيها زقاً من قطران ، وغوروه ، فأرسل الله عليهم ماء السماء ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج إليهم أهل المدينة بجموع كثيرة ، وبهيئة لم يُر مثلها فلما رآهم أهل الشام ، هابوهم وكرهوا قتالهم فأمر مسلم بسريره ، فوضع بين الصّفين ، ثم أمر مناديه : قاتلوا عني ودعوا ، فشدّ الناس في قتالهم ، وانهزم أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة متسانداً إلى بعض بنيه يغط نوماً ، فنبّه ابنه ، فلما فتح عينه ، ورأى ما صنع ، أمر أكبر بنيه ، فتقدم حتى قتل ، فلم يزل يقدمهم واحداً بعد واحد حتى أتى القتل على جميعهم ، فكسر هو جفن سيفه ، وقاتل حتى قتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة ، ودعا الناس إلى البيعة على أنهم خوّل يزيد ابن معاوية ، يحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما شاء ، حتى أتى يزيد بن عبد الله بن زمعة أسيراً ، وكان صديقاً ليزيد بن معاوية وصفيّاً له فقال : بايع على أنك خوّل لأمير المؤمنين ، يحكم في دمك وأهلك ومالك ، فقال أبايعك على أني ابن عم أمير المؤمنين ، يحكم في دمي وأهلي ، فقال اضربوا عنقه ، فوثب مروان فضمه إليه ، فقال يبايعك على ما أحببت ، فقال : والله ولا أقبلها إياه أبداً وقال : إن تنحوا وإلا فاقتلوهما جميعاً . فتركه مروان وضربت عنق ابن زمعة . وقتل معقل بن سنان الأشجعي صبراً

ومحمد بن أبي حذيفة العدوي صبراً ومحمد بن أبي الجسم بن حذيفة العدوي صبراً . وانتهى عدد من مثل ذلك اليوم من قريش والأنصار ثلاثمائة رجل ، وستة رجال . هذا كله على ما ذكره بعض المؤرخين والله أعلم بصحة ذلك . فهذه المحنة هي التي أوجبت ذلك اليوم خلاء مسجد النبي عليه السلام من التجميع كالיום الذي قتل فيه عثمان . والله أسأله العصمة والغفران برحمته . وقد وقع في رسم مرض بعد هذا من قول ابن القاسم : إنه سمع مالكا يقول قتل يوم الحرة سبعمائة رجل كلهم قد جمعوا القرآن . قال ابن القاسم : شككت أنه قال كان فيهم أربعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واليوم الثالث الذي ذكر مالك أنه أنسيه . قال محمد بن عبد الحكم هو يوم خرج بها أبو حمزة الخارجي وكان خروجه فيما ذكروا في خلافة مروان آخر خلفاء بني أمية الذي خلفه أبو العباس السفاح من بني العباس . في سنة ثلاثين ومائة قال خليفة ابن خياط في تاريخه : سار أبو حمزة في أول سنة ثلاثين ومائة . يريد المدينة ، واستخلف على مكة ابراهيم بن الصباح الحميري ، وجعل على مقدمته بلج بن عقبة السعدي ، وخرج أهل المدينة فالتقوا بقديد يوم الخميس لتسعة خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة ، وبلج في ثلاثين ألف فارس ، فقالوا لهم : طريقنا تأتي هؤلاء الذين بغوا علينا ، وجاروا في الحكم ، ولا تجعلوا أخذنا بكم ، فإننا لا ندري قتالكم ، فأبوا وقاتلوهم ، ، فانهمز أهل المدينة ، وجاءهم أبو حمزة فقال له علي بن الحصين اتبع هؤلاء القوم ، وأجهز على جريحهم ، فإن لكل زمن حكماً والأثخان في هؤلاء أمثل . قال : ما أرى ذلك ، وما أرى أن أخالف من مضى قبل . ومضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر ، سنة ثلاثين ومائة . ففي يوم دخوله إياها والله أعلم خلا مسجد النبي عليه السلام من أن يجمع فيه وأصيب من قريش يومئذ ثلاثمائة رجل ، ومن آل الزبير ، اثنا عشر رجلاً ، فما سمع الناس بواكي أوجع

للقلوب من بواكي قديد، ما بقي بالمدينة أهل بيت إلا وفيهم بكاء. وقالت نائحة تبكيهم:

مَا لِلزَّمَانِ وَمَالِيهِ      أَفْنَى قُدَيْدُ رِجَالِيهِ  
فَلأُبْكِيَنَّ سَرِيرَةً      ولأُبْكِيَنَّ عَلَانِيَةَ

### في تسميت العاطس

وسئل مالك عن العاطس إذا لم يحمد الله أو لم يسمعه أيّشتمته؟ قال: لا يشتمته حتى يسمعه يحمد الله. قيل له: فإنه ربما كانت الحلقة كثيرة الأهل فأسمع القوم يشمتونه؟ قال: إذا سمعت الذين يلونه يشمتونه فشمته.

قال الإمام القاضي: إنما قال: إنه لا يشتمته حتى يسمعه يحمد الله لما روى عن النبي عليه السلام من أنه قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ». وإذا قال أَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَلْيَقُلْ لَهُ، يَرَحْمَكَ اللَّهُ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحْ بِأَلْسِنَتِكُمْ (٢٩٢). وروى عنه أنه قال: إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَحْمَدْ وَلْيَقُلْ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ يَرَحْمَكَ اللَّهُ وَلْيُرِدْ عَلَيْهِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ (٢٩٣). وقال مالك: إن شاء قال العاطس في الرد على من شتمته: يغفر الله لنا ولكم، وإن شاء قال: يهديكم الله ويصلح بالكم. وهو قول الشافعي أي ذلك قال فحسن، وقال أصحاب أبي حنيفة يقول: يغفر الله لنا ولكم، ولا يقول يهديكم الله ويصلح بالكم. وروى عن إبراهيم النخعي أنه قال: يهديكم الله ويصلح بالكم. وهذا شيء قالته الخوارج لأنهم لا يستغفرون

(٢٩٢) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأدب: باب إذا عطس كيف يشمت هكذا: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله. فإذا قال له: يرحمك الله فليقل يهديكم الله إلخ..

(٢٩٣) رواه أصحاب السنن عن سالم بن عبيد هكذا: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل له من يرد عليه: يرحمك الله. وليقل يغفر الله لنا ولكم.

للناس . والصحيح ما ذهب إليه مالك من أنه يرد عليه بما شاء من ذلك إذ قد جاء عن النبي الأمران معاً . وقد اختار الطحاوي وعبد الوهاب وغيره ، يهديكم الله ويصلح بالكم على قوله يغفر الله لنا ولكم . لأن المغفرة لا تكون إلا من ذنب ، والهداية قد تعرى من الذنوب . والذي أقول به : إن قوله : يغفر الله لي ولكم أولى إذ لا يسلم أحد من مواقع الذنوب ، وصاحب الذنب محتاج إلى الغفران ، لأنه إن هدي فيما يستقبل ولم يغفر له ما تقدم من ذنوبه ، بقيت التباعات عليه فيها ، وإن جمعهما جميعاً . فقال : يغفر الله لنا ولكم ، ويهديكم ويصلح بالكم كان أحسن وأولى إلا في الذمي إذا عطس ، ويحمد الله فلا يقال له : يرحمك الله ، وإنما يقال له : يهديك الله ويصلح بالك ، لأن اليهودي والنصراني لا تغفر له السيئات ، حتى يؤمن . ومما يدل على هذا ما روي : مِنْ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَاءً أَنْ يَقُولَ : يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ ، فَيَقُولُ : يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِأَلْكُمُ (٢٩٤) . واختلف في تسميت العاطس فقيل : هو واجب على كل من سمعه كرد السلام ، وقيل هو نذب وإرشاد وليس بواجب . ولا اختلاف في أنه لا يجب تسميت العاطس إذا لم يحمد الله . وإنما أمر العاطس أن يحمد الله لما في العطاس من المنفعة ما لم يكن مذنوباً على ما دل عليه قوله في الحديث : إِنْ عَطَسَ فَسَمِّتَهُ ، ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَسَمِّتَهُ ، ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَسَمِّتَهُ ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَسَمِّتَهُ ثُمَّ إِنْ عَطَسَ فَقُلْ : إِنَّكَ مَذْنُوكٌ . وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : لَا أُدْرِي أَبَعْدَ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ (٢٩٥) . ويقال : تسميت ، وتسميت ، وقال الخليل تسميت العاطس لغة في تسميته . وقال ثعلب : التسميت معناه : أبعد الله عنك الشماتة ، وجنبك ما يشمت به عليك . وأما التسميت فمعناه جعلك الله على سمت حسن وباللله التوفيق لا إله إلا هورب العرش العظيم .

(٢٩٤) رواه أبو داوود والترمذي . وقال : حديث حسن صحيح عن أبي موسى . وفيهما

يرجون بدل رجاء ، وزيادة لهم بعد قوله : أن يقول .

(٢٩٥) رواه مالك في الموطأ عن أبي بكر عن أبيه في التسميت في العطاس .